بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l' Enseignement Supérieur Et de la Recherche Scientifique

جامعة عمار ثليجي – الأغواط

كلية العلوم الإسلامية والحضارة

قسم أصول الدين واللغة والحضارة

Université Ammar Telji - Laghouat

Collège des sciences Islamiques et de la civilisation

Département de Fundamentals de religion, Langage et civilisation

مطبوعة بيداغوجية في مقياس

اتجاهات التفسير في العصر الحديث

موجه لطلبة سنة ثانية ماستر

تخصص: التفسير وعلوم القرآن

من إعـــداد:

د/ بـرابـح نـــسيبة

السنة الجامعية: 2026/2025

المقرر الدراسي

عنوان الماستر: تفسير وعلوم قرآن

السداسي: الثالث

نوع الوحدة التكوينية: المنهجية

اسم المادة: اتجاهات التفسير في العصر الحديث

الرصيد: 02 / **المعامل**: 01

الحجم الساعي خلال السداسي: 45 ساعة / الحجم **الساعي الأسبوعي**: ساعة ونصف

1-أهداف التعليم:

-أن يلم الطالب بمختلف اتجاهات التفسير الرئيسية

- أن يتعرف الطالب على مناهج أهم المفسرين وأشهرهم في العصر الحديث

- دراسة نصوص مختارة من التفاسير

2-المعارف المسبقة المطلوبة:

- ما أخذه الطالب من معارف مسبقة في علم التفسير

- ما أخذه الطالب من معارف مسبقة في اتجاهات التفسير عموما

- ما أخذه الطالب من معارف سابقة في مناهج المفسرين

3- القدرات المكتسبة:

-تمكين الطالب من فهم اتجاهات التفسير

- إعطاء الطالب رصيد معرفي بأهم مصادر التفسير المختلفة

- تدريب الطالب على المناهج التفسيرية المختلفة

4- محتوى المادة:

المحاضرة 1: التعريف باتجاهات المفسرين وتصنيفاتها (من جهة مصادرها والحكم عليها قبولا أو ردا)

المحاضرة 2: ضوابط اعتبار اتجاهات التفسير

المحاضرة 3: الاتجاه الأثري المعاصر

المحاضرة 4: الاتجاه العقلي الإصلاحي الاجتماعي

المحاضرة 5: الاتجاه المقاصدي الهدائي

المحاضرة 6: الاتجاه البلاغي المعاصر

المحاضرة 7: الاتجاه العلمي في التفسير (تعريفه، نشأته، وأقوال العلماء فيه)

المحاضرة 8: الاتجاه العلمي في التفسير (أهم المؤلفات فيه تنظيرا وتطبيقا)

المحاضرة 9: الاتجاه العقدي

المحاضرة 10: الاتجاه السياسي

المحاضرة 11: الاتجاه الموضوعي

المحاضرة 12: الاتجاه الصوفي والإشاري (مع ابراز حقيقة التفسير الإشاري وضوابطه ومعايير قبوله)

المحاضرة 13: أثر تعدد الاتجاهات في العصر الحديث على درس التفسير

المحاضرة 14: أهم اتجاهات التفسير في العصر الحديث في الجزائر

الحصة 12: **امتحان (تقييم المعارف المكتسبة)**

المقدمة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى– عليه الصلاة والسلام، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرّ الميامين، أما بعد:

لا شك أنّ علم التفسير من أشرف العلوم وأجلّها، لأن شرفه باعتبار موضوعه وغايته، فموضوع هذا العلم هو كلام الله تعالى؛ الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، وغايته حصول القدرة على استنباط أحكامه وحكمه وأسراره؛ بحسب قواعده وأصوله؛ وبحسب الطاقة البشرية.

ثم من المعلوم أنّ كتاب الله تعالى تتفاوت دلالة آياته على المعاني وضوحا وخفاء، ولو كانت آياته تتساوى في إدراكها الأفهام، لخمدت الهمم وركدت الأفهام، لكنّ الله جلت حكمته جعل كتابه الكريم بحيث تختلف الأفهام والقرائح في إدراك أسراره واجتلاء معانيه.

ومن هنا تعددت مناهج المفسرين، واختلفت اتجاهاتهم التفسيرية، من لدن الطبري إلى يومنا الحالي.

فكان من الضرورة أن يفهم الطالب طرق المفسرين في استخراج أحكام آياته الكريمة وحكمها، ومعرفة أسرارها وعبرها وغير ذلك.

ومن هنا جاءت هذه المطبوعة الجامعية، متضمنة لمجموعة من المحاضرات الخاصة باتجاهات المفسرين في العصر الحديث، مع تقديم بعض النماذج التطبيقية من التفسير؛ ليأخذ الطالب لمحة موجزة عن تفاسير العصر الحديث. وفقا للبرنامج الذي سطّرته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي؛ والحجم الساعي المحدّد لهذا المقياس.

والله هو تعالى الموفق والهادي إلى السداد والرشاد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله ربّ العالمين.

المحاضرة الأولى (الجزء الأول): مقدمات حول علم التفسير

يعدّ علم التفسير من أوائل العلوم الإسلامية ظهورا، كما أنّه من أهم تلك العلوم وأشرفها، لأن العلم بمعاني كتاب الله هو أشرف مراتب العلم في الإسلام، هذا ويلتقي مصطلح التفسير مع التأويل في عدة أوجه، فكلاهما وسيلة لكشف معاني النصوص القرآنية وتبيينها، لذلك من المهم أن نتطرق لمفهومهما وتطور دلالتهما في البيئة الإسلامية.

المطلب الأول– التفسير في اللغة:

لا شك أن بيان معاني (الفَسْرِ) في اللغة، يمهّد لفهم معاني التفسير في الاصطلاح، ويوضح مدى العلاقة بينهما، هذا ما يدفع إلى لزوم البحث في المعاني اللغوية، التي تتضمنها كلمة التفسير.

وابتداءً نقول: التفسير على وزن (تفعيل)، فعله الماضي رباعي مضّعف (فَسَّرَ)،"بتشديد السين الذي هو مضاعف فَسَرَ بالتخفيف، ومصدره (الفَسْرُ) "[1].

قال ابن فارس:" الفَسْرُ: كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه، تقول: فَسَرْتُ الشيء وفَسَّرْتُهُ"[2].

جاء في لسان العرب:" (الفَسْرُ) البيان، فَسَرَ الشيء يَفْسِره بالكسرِ، ويفسُره بالضم فسْرا وفسَّره: أبانه، والفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، واستفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي" [3].

ما نلاحظه على صاحب اللسان أنه فرّق بين الفسر والتفسير، فجعل الفسر خاصا بالمعنى اللغوي والتفسير متعلقا باللفظ المشكل. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (الفرقان: 33). قال مجاهد في تفسير هذه الآية (تفسيرا): " أي بيانا "[4].

إذن فالتفسير كما قال الراغب الأصفهاني هو: "إظهار المعنى المعقول، والتفسير في المبالغة كالفَسر"[5].

وعليه فالراغب الأصفهاني يتفق مع ابن فارس، في أنّ معنى التفسير هو الإيضاح والإظهار.

---

[1]– طاهر بن عاشور: **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، (ج1)، ص10.

[2]– أحمد بن فارس: **مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، ط: 1399هـ/1979م، دار الفكر (د م ط) (ج4 ص 504).

[3]– ابن منظور: **لسان العرب**، دار الأبحاث، ط 1: 2008، بيروت– لبنان، (ج10، ص 294).

[4]– محمد بن جرير الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1: 1422هـ/ 2001م، القاهرة – مصر، (ج 17، ص 448).

وجاء في معجم (الكليات): "التفسير الاستبانة والكشف، والعبارة عن الشيء بلفظ أيسر وأسهل من لفظ الأصل" [1].

المطلب الثاني– التفسير في الاصطلاح:

لقد وجد لمصطلح التفسير تعريفات متعددة عبر عصور مختلفة، يشهد لذلك مؤلفات علوم القرآن، وسأختار من العصر الحديث تعريف عبد العظيم الزرقاني (ت 1367هـ) الذي عرّفه بقوله: "هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية " [2].

وبالنسبة لعبد الفتاح الخالدي، فقد ارتأى تعريفه كالآتي:" علم يتم به فهم القرآن، وبيان معانيه، والكشف عن أحكامه، وإزالة الإشكال والغموض عن آياته" [3].

لا شك أن التعريفين السابقين يتفقان على أنّ التفسير: هو العلم الذي يبين فيه مراد كلام الله تعالى، كما أنّنا نلاحظ جليا تأخر ظهوره كعلم نظري له مفاهيمه وأساسياته وضوابطه، مقارنة بنشوئه المبكر في البيئة الإسلامية؛ كعملية تطبيقية وممارسة فعلية غرضها بيان آيات القرآن. فأول تعريف للتفسير وصل إلينا في القرن الثامن الهجري كما رأينا سالفا، مع أنّ أول تفسير اشتهر هو تفسير الطبري في القرن الرابع الهجري.

وعلى ضوء ذلك أرى أنّ التفسير: هو محاولة استخراج المعاني التي تحتملها الآيات القرآنية، وبيان مقاصدها وأهدافها.

المطلب الثالث–الفرق بين التفسير والتأويل:

لقد اختلف العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل، وتعدَّدت أقوالهم في ذلك وتضاربت، وتباينت أدلتهم ما بين نقلية وعقلية؛ حول إثبات ترادف اللفظين أو نفي ذلك، حتى بالغ أحدهم، فقال: " قد نبغ في زماننا مفسّرون، لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه " [4]، ومن هذا المنطلق كان لزاما على علماء التفسير؛ أن يعرضوا لمعنى كلا اللفظين، لأنّه ورد على ألسنتهم وفي كتبهم، وسنحاول في هذا المقام أن نبسط الحديث فيه، علنا نخرج بحصيلة معرفية تمكننا من الفهم الدقيق للفظين.

---

[1]– أبو البقاء الكفوي: **الكليات**، أعدّه للنشر: عدنان درويش، محمد المصري، ط2: 1419هـ/ 1998م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ص 260.

[2] – عبد العظيم الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الكتاب العربي،1415هـ/ 1995م، (ج 2، ص6).

[3]– عبد الفتاح الخالدي: **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، المرجع السابق، ص 24.

[4]– جلال الدين السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، ص 691.

وابتداءً نقول:

أولا– ذهبت الطائفة الأولى أنّ: التفسير والتأويل مصطلحان مترادفان، لهما معنى واحد، هو تفسير القرآن وبيان معانيه. ونسب السيوطي هذا القول لأبي عبيدة معمر بن المثنى ومن معه، لكننا نجد (الخالدي) يرفض هذا الرأي مستدلا بفكرة التفسير والتأويل مصطلحان قرآنيان، وقد نستسيغ كلامه إلى حد ما، كونه مع الفريق الذي يقول بعدم وجود الترادف للألفاظ القرآنية؛ شأنه شأن العديد من المعاصرين ورواد التفسير البياني[1]، لكنه ما فسّر القضية بشيء من التحليل الذي يجعلنا نفهم موقف السلف من استعمال المصطلح، وقد نرى ذلك كون علماءنا السلف إنّما أفادوا من المعنى اللغوي للفظة فحسب، وهو معنى قائم بذاته، وما نشأت المفاهيم الأخرى إلا بتطور المصطلح مع الزمن واستخدامه لدلالات أخرى.

فتأويل الكلام إذن: ما أوَّله إليه المتكلم، أو ما يؤول إليه الكلام ويرجع، والكلام إنّما يرجع ويعود إلى حقيقته التي هي عين المقصود، وقد أفاض مناع القطان في الكلام عن هذا قائلا:" وهو نوعان إنشاء وإخبار، ومن الإنشاء الأمر فتأويل الأمر: هو الفعل المأمور به... وتأويل الإخبار: هو عين المخبر به إذا وقع" [2].

ثم نجده يقرِّر أنّه إذا قلنا: التأويل هو نفس المراد بالكلام، فعلى هذا يكون الفرق كبيرا بين التفسير والتأويل، لأنّ التفسير شرح وإيضاح للكلام، أما التأويل فهو نفس الأمور الموجودة في الخارج، وهذا هو المعنى الثاني للتأويل عند السلف.

ثانيا– أما الطائفة الثانية، فقد رأت أنّ بين التفسير والتأويل فرقا، ثم اختلفوا في ماهية تلك الفروق:

1- فمنهم من يرى التفسير أعم من التأويل، قال الراغب الأصفهاني:" التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل كتأويل الرؤيا، وأكثر ما يستعمل التأويل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها " [3].

2- وقيل التأويل أعم لجريانه في الكلام وغيره، يقال: " تأويل الكلام كذا، وتأويل الأمر كذا، أي ما يؤولان إليه، بخلاف التفسير فإنّه يخص الكلام ومدلوله، يقال: تفسير الكلام كذا والقضية كذا "[4].

---

[1]- لعلنا نرجّح رأي الفريق الذي يتبنى فكرة عدم ترادف المفردات القرآنية، ونعضد وجهة النظر هذه بأن أصل الترادف في اللغة: ركوب أحد خلف الآخر، فيقال: ردف الرجل وأردفه؛ أي ركب خلفه، وقال الفراء مردفين: متتابعين، وعلى هذا الأساس فالترادف لا يعني التساوي وهذا ينطبق على المفردات أيضا.

[2]- مناع القطان: **الوجيز في أصول التفسير**، المطلعة السلفية ومكتبتها، ط: 1379هـ، الرياض- السعودية، ص 67.

[3]- جلال الدين السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، ص 691.

[4]- سليمان الطوفي الصرصري (ت 736هـ): **الإكسير في علم التفسير**، تح: عبد القادر حسين، ط2: 2002م، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ص 2.

3- وقيل: التفسير بيان معاني القرآن من باب الجزم والقطع؛ لوجود دليل لدى المفسر يعتمد عليه، والتأويل بيان معاني القرآن من باب الاحتمال وغلبة الظن والترجيح، لعدم وجود دليل لدى المؤول؛ يعتمد عليه في القطع والجزم.

4-التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا، كتفسير الصراط بالطريق، والصيّب بالمطر، وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأنّ اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿14﴾ ﴾ (الفجر: 14)، تفسيرها: أنّه من الرصد والمراقبة، وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله والاستعداد للعرض يوم القيامة[1].

5- قيل علم التفسير للخلق، وعلم التأويل للحق، قال تعالى: وما يعلم تأويله إلا الله " وهو فيما يرجع إلى الغيب الذي أبهمه الله تعالى، كالساعة متى وقوعها وأشراطها ومتى ظهورها " [2].

6- قيل التفسير:" ما وقع مبينا في كتاب الله ومعيّنا في صحيح السنة، لأنّ معناه قد ظهر ووضح، والتأويل: ما استنبطه العلماء"[3].

7- التفسير فهم الآيات على ظاهرها بدون صرف لها عنه، والتأويل صرف الآيات عن ظاهرها إلى معنى آخر، تحتمله الآيات ولا يخالف الكتاب والسنة "[4].

8- قيل التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية، وقيل: التفسير يتوقف على النقل المسموع، والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح.

9- قيل التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة، و" كل ما قيل مما ذكرنا ومما لم يذكر مخالف للعرف اليوم، إذ قد تعورف عند المؤلفين من غير نكير، أنّ للتأويل معانٍ قدسية، ومعارف ربانية، تنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين، والتفسير غير ذلك " [5].

هذه أهم الآراء التي وردت في التفريق بين التفسير والتأويل، ولعل الراغب الأصفهاني هو أكثر من وفّق في تلخيص أهم النقاط؛ التي نفرّق فيها بين التفسير والتأويل، نوردها في النقاط الآتية:

---

[1]- ينظر: السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، ص 691.

[2]- فهد الرومي: **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، ط 4: 1419هـ، مكتبة التوبة، الرياض- السعودية، ص 11.

[3]- **الوجيز في أصول التفسير**، المرجع السابق، ص 68.

[4]- عبد الفتاح الخالدي: **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، ص 27.

[5]- محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون**، (ج1، ص 18 – 19).

أ- التفسير أعم من التأويل.

ب- يستعمل التفسير في الألفاظ، ويستعمل التأويل في المعاني.

ج- ينحصر استعمال التأويل في الكتب الإلهية، أما التفسير فيستعمل فيها وفي غيرها.

د- يستعمل التفسير في بيان معاني الألفاظ والمفردات، أما التأويل يستعمل في بيان معاني الجمل والتركيب.

ومما عرضه الإمام السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) من الفروق بين التفسير والتأويل، إضافة إلى ما ذكرناه سابقا.

أ- التفسير: بيان ألفاظ القرآن؛ التي لا تحتمل إلا معنى واحدا، والتأويل توجيه ألفاظ القرآن، التي تحتمل عدّة معانٍ إلى معنى واحد، اعتمادا على الأدلة في ذلك.

ب- التأويل: بيان أحد محتملات اللفظ، أما التفسير بيان مراد المتكلم[1].

وبالنسبة للرأي الذي يرجّحه معظم الباحثين، وشاع على الألسنة كثيرا، كون التفسير ما كان راجعا إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعا إلى الدراية، فهو رأي مستساغ إلى حد ما، لكنه ليس رأيا وجيها، إذ التفسير يرجع فيه أولا للنقل والرواية، ثم للعقل والدراية، ولو سلمنا بهذا القول لكانت كل تلك التفاسير الكثيرة التي تزخر بها المكتبة الإسلامية نقلية متكررة، لكن الواقع يناقض هذا، فكل مفسّر له توجيهاته الخاصة وتفسيره الخاص، مع وحدة النص القرآني ووحدة المنبع من النقل والرواية، والتي يتخذها المفسّر ركيزة في استخراج دلالات جديدة، والأصوب من حيث الدقة أن نقول: يعتمد التفسير على النقل والعقل معا، أما التأويل فيعتمد فيه على العقل فقط.

ومن ثم فإنّنا نجد الخالدي[2] له رأي قويم في هذه المسألة، إذ جعل التفسير والتأويل مرحلتان متتابعتان، مرتبطتان ببعضهما البعض، فالمرحلة الأولى هي التفسير، حيث يقوم المفسّر بشرح ألفاظ وجمل القرآن اعتمادا على الروايات والأقوال المأثورة وبالاستعانة بعلوم شتى، تمكنه من استخراج المعنى القريب المتبادر منها، أما إذا أراد أن ينتقل للمرحلة الثانية وهي مرحلة التأويل، فهنا عليه النظر في القرآن؛ على ضوء معلوماته التفسيرية السابقة، حتى يلحظ المعنى البعيد الغير متبادر للذهن، ويزيل ما حول الآية من لبس أو اشتباه أو إشكال، ويلتفت إلى لطائفها وإشاراتها وإيحاءاتها، ويستخرج حقائقها ودلالاتها.

واستدل الخالدي على رأيه هذا بتفسير حبر الأمة – رضي الله عنه- لسورة النصر، حينما فسرّها الصحابة بظاهر معناها، أما هو فقد التفت إلى معنى بعيد فيها عن طريق التأويل.

---

[1] - جلال الدين السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، ص 2262.

[2]- صلاح عبد الفتاح الخالدي: **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، مرجع سابق، (ص 29- 34 بتصرف).

ومما تجدر الإشارة إليه، أنّنا لو نظرنا إلى هدف وغاية كلا المصطلحين، لألفينا غاية واحدة تجمع بينهما، وهدفا واحدا يؤولان إليه، وهو التوصل إلى فهم معاني القرآن الكريم بصورة سليمة، واستنباط أحكامه بطريقة صحيحة، فكلاهما وسيلتان؛ يتوسل بكل منهما في إدراك مقصد اللفظ، وبالتالي فهم النص القرآني، ولأحد الباحثين كلام هادف يقول فيه:" أنّ هناك معنى عاما واحدا يشترك فيه اللفظان، هو محاولة الكشف عن حقيقة شيء ما، وأنّه حينما يستخدم كل منهما في شرح معاني القرآن الكريم، فإنّه يجمعهما هذا المعنى العام المشترك " [1].

المحاضرة الأولى (الجزء الثاني): مناهج التفسير واتجاهاته وتصنيفاته

إنّ الحديث عن اتجاهات التفسير ومناهجه، موضوع متشعب الأطراف متعدد المناحي، ذلك لأنه مرتبط بالنص القرآني الذي يختلف عن بقية النصوص، فله سمات معينة يمتاز بها تسوغ خصوصيته، فالمعاني مفتوحة والعقول المتدبرة تجد فيه كل حين حاجتها، ثم إنّه يتعلق بتعدد المناهج التي سار عليها المفسرون الأوائل والمحدثون في استنباط الأسرار القرآنية، وفي هذا المبحث سأحدّد مفهوم المنهج والاتجاه وما يقربهما من مصطلحات، وسأحاول أن أرسم الاتجاهات التفسيرية لأخذ نظرة شاملة عليها.

المطلب الأول: تعريف المنهج والاتجاه

يتداول الكثير من العلماء في التفسير؛ مصطلحات مهمة نذكر منها: الاتّجاه والمنهج والأسلوب والطريقة، ولا نكاد نجد لها ذكرا عند القدماء، إنّما هي مصطلحات مستحدثة، شاعت على ألسنة الباحثين حديثا؛ وحتى المحدثون أنفسهم لا يتفقون على معنى واضح لكل منها، ومن هنا كان لزاما علينا أن نتعرض لها، لنحاول التعرف عليها، ومعرفة الفروق الجوهرية بينها، والتقريب بين آراء الباحثين بخصوصها للخروج بمفهوم دقيق لها.

الفرع الأول– تعريف المنهج:

أولا– لغة: إنّ كلمة (منهج) مشتقة من الثلاثي (نَهْج)، قال ابن فارس عنها: " النهج: الطريق، ونَهَجَ لي الأمر أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمِنْهَجْ: الطريق والجمع (المناهج)"[2].

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات:" النهج: الطريق الواضح، ونَهَجَ الأمر، وأنهجَ: وَضَحَ، ومنهج الطريق ومنهاجه، قال تعالى: (**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**)(المائدة: 48)"[3].

---

[1]– محمد بلتاجي: **دراسات في التفسير**، مكتبة الشباب، سنة 1989م، ص 10.

[2]– ابن منظور: **لسان العرب**، المصدر السابق، ج14 ص 287.

[3] – الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، ص 825.

والجمع نهجات ونهج ونهوج، ومنهج الطريق وضحه والمنهاج كالمنهج، وتأتي مادة نهج أيضا في صيغة الفعل الرباعي (أنهج).

جاء في لسان العرب:" وأنهج الطريق: وضح واستبان، وصار نهجا واضحا بيّنا... والمنهاج الطريق الواضح، فلان ينهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه"[1].

نستخلص من خلال ما سبق، أنّ كلمة المنهج في اللغة، تعني الطريق والمسلك، أو السبيل الواضحة البيّنة المتبعة، ويكون على هذا الأساس استعمال حقيقي للفظة، وقد نستعمله مجازا لنطلق هاته اللفظة على الخطة العلمية التي يسير عليها الباحث وفق قواعد وأسس، حتى لا تحيد دراسته عن المنهجية الصحيحة، قال أحد الباحثين:" أما المنهج في اللغة، الطريق الواضح في أمر ما؛ من علم أو عمل "[2].

ثانيا– اصطلاحا: إن دلالة المنهج في الاصطلاح العلمي مسألة اختلفت فيها الأنظار، وتضاربت فيها الأقوال، فلا نكاد نجد اتفاقا حول تعريف المنهج، ويعود سبب ذلك من وجهة نظرنا؛ إلى اختلاف المعيار الذي أسّس عليه كل أحد مفهومه للمصطلح، فعدم توضيح الضوابط وزاوية النظر التي يبني عليها كل باحث تعريفه للمصطلح، هذا ما جعل الاختلاف بيّنا ووجهات النظر متضاربة، رغم اتفاقهم على أنّه مجموع آليات وقواعد منظّمة محدّدة توصل الباحث إلى هدفه وغايته.

قال أحد الباحثين بهذا الصدد:" ليس هناك اتفاق بين المؤلفين في مفهوم المنهج، ومع هذا فقد استعمل المنهج ليميّز الأساليب المختلفة في مستويات متعددة "[3].

وقال غيره: " هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو في عمل شيء أو في تعلّم شيء طبقا لمبادئ معينة، وبنظام معين، بغية الوصول إلى غاية معينة " [4].

---

[1] – ابن منظور: **لسان العرب**، المصدر السابق، ج14 ص 288.

[2]– خالد السعيداني: **نماذج من مساهمة علماء المسلمين في المنهج الاستردادي**، مقال الكتروني، تحميل يوم: 2017/10/18، على الساعة– 19:09.

[3] – علي إدريس، **مدخل إلى مناهج البحث العلمي لكتابة الرسائل الجامعية**، (د ت ط)، الدار العربية للكتاب؛ دار القلم، تونس– 1985م، ص 47.

[4] – محمود النقراشي السيد علي: **مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث**، ط1: 1407هـ/1986م، مكتبة النهضة– القصيم – مصر، (ج1 ص 13).

وخلاصة الأمر يمكننا القول أنّ المنهج هو مجموعة القواعد النظرية التي يتبعها الباحث في تقصيه للحقائق العلمية في أي فرع من فروع المعرفة.

هذا فيما يخص المنهج بصفة عامة في كل المجالات؛ فمنهج الدراسة هو الخطة المرسومة المحددة، أما فيما يخص منهج التفسير، فقد قال عبد الفتاح الخالدي:" هو الخطة المحدّدة التي وضعها المفسّر عند تفسيره للقرآن الكريم، والتي انعكست على تفسيره الذي كتبه، وصارت واضحة فيه، هذه الخطة تقوم على قواعد وأسس، تتجلى في أساليب وتطبيقات "[1].

وعرّف أحدهم المنهج بقوله: " السبيل التي تؤدي إلى الهدف المرسوم"[2].

نلاحظ أنّ الباحث وظّف المعنى اللغوي لكلمة المنهج توظيفا جيدا، مما جعل تعريفه واضحا دقيقا.

وهناك من عرّف المنهج قائلا:" هو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن، والتي يمكن من خلالها تبيين معنى ومقصود الآية، والحصول على نتائج مشخّصة "[3]. وبالتالي صاحب هذا التعريف لخّص هدف الباحث في الكيفية التي يعتمد عليها لكشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القرآن، حيث تتضمن تلك الكيفية مجموعة المصادر التي يستقي منها مفهوم الآية ويستعين بها لتوضيح معناها.

وبحسب ما نرى فإنّ تلك المصادر هي وسائل تعين على فهم الآية، لكنّها لا تعتبر منهجا يسير وفقه الباحث، وبالتالي يمكننا القول أنّ تعريف الخالدي أدق من هذا التعريف.

وبعد أن عرفنا معنى المنهج، هناك مصطلح آخر يفترض بنا الوقوف عنده؛ لتعلقه به وهو الطريقة، فلقد رأى الخالدي وجوب التفريق بينهما، لأنّ معظم الباحثين يخلطون بينهما، ويجعلونهما كلمتين مترادفتين، وانعكس هذا على دراساتهم وأبحاثهم فكانت غير واضحة ولا محدّدة.

وبما أنّ التفريق ضروري في مختلف الدراسات النظرية، فإنّه أكثر ضرورة في الدراسات الإسلامية، إذ أنّها تتحدث عن علمائنا ومفكرينا في مختلف ميادين العلوم الإسلامية، ولقد أوضح الخالدي الفرق بينهما، فالمنهج في نظره هو الخطة المرسومة المحدّدة؛ والتي تتمثل في مجموعة القواعد والأسس التي ينطلق منها المفسّر في فهمه للآيات القرآنية، وهي بمثابة الضوابط التي التزم بها في تفسيره، فسار عليها ولم يخالفها.

---

[1]- عبد الفتاح الخالدي: **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، المرجع السابق، ص 17.

[2]- فهد الرومي: **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، ط4: 1419هـ، مكتبة التوبة، الرياض – السعودية، ص 55.

[3]- محمد علي الرضائي: **مناهج التفسير واتجاهاته – دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن الكريم–** ترجمة: قاسم البيضاني، ط1: 2008م، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ص 15.

أما الطريقة فهي الأسلوب الذي يسلكه المفسّر؛ أثناء توضيحه لمعاني الآيات القرآنية [1].

وخلاصة الأمر من زاوية نظرنا؛ المنهج هو عبارة عن الجزء النظري للمفسّر، فهو مجموعة القواعد التي رسمها لنفسه وقرَّر السير عليها، أما الطريقة فهي الجزء التطبيقي؛ الذي يتمثل في الشكل العام الذي عرض فيه المفسّر تفسيره، أو هو المرآة التي تعكس لنا منهج المفسّر إن صحّ التعبير.

فالطبري مثلا كان من منهجه ذكر الأقوال المأثورة بالأسانيد المختلفة، وعرفنا ذلك من خلال تتبعنا له في تفسيره، فطريقته في تحليل الآيات وعرضها بشكل معين؛ هو ما جعلنا نستنبط الخطوط العريضة لمنهجه الذي سار عليه، وعلى هذا الأساس يكون مصطلح المنهج لا يساوي الطريقة.

الفرع الثاني– تعريف الاتجاه:

أولا– لغة: جاء في لسان العرب[2]، اتجاه من (الوَجَهُ) قال تعالى: (**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون**)(آل عمران: 72).

ووجه النجم: ما بدا لك منه، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به، وجهةُ الأمر وجَهَتُهُ ووِجْهَتُهُ ووُجْهَتُهُ وَجْهُهُ. الاسم (الوِجْهَة، والوُجْهة) بكسر الواو وضمّها، والجهة والوجْهة جميعا: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده، واتجهت إليك، أتْجَهُ أي توجّهت لأن أصل التاء فيهما واو، وتوّجه إليه: ذهب وتَجَهْتُ إليك أَتجه: أي توجهت.

وورد في المعجم الحديث: اتجاه: مصدر اتجّه، وهو الإقبال على الشيء بالوجه، اتَّجه اتّجاها: قصد، أقبل على، تقول اتجّه إليه: أقبل عليه[3].

ثانيا– اصطلاحا فهو:

1- تأثير الاعتقادات الدينية، الكلامية، الاتجاهات العصرية، وأساليب التفسير التي تعكس عقيدة وذوق وتخصص المفسّر [4].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 18.

[2] - ابن منظور: **لسان العرب**، المصدر السابق، ج15/14، ص 216- 217- 218.

[3]- يوسف محمد رضا: **معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة** (معجم ألفبائي موسع في اللغة العربية) ط1: 2006، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ص 18.

[4]- **مناهج التفسير واتجاهاته**، المرجع السابق، ص 16.

2- مجموعة الآراء والأفكار والنظرات التي تشيع في عمل فكري بصورة أوضح من غيرها، فهي تعكس مصدر الثقافة التي تأثر بها المفسر[1].

3- هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهو يكتبون[2].

4- هو ميل فكري أو سلوكي أو فني يعبر عن رؤية معينة ويستند إلى مجموعة من المبادئ التي يتبناها الفرد أو الجماعة.

من خلال هذه التعريفات نرى أنّ كل باحث يحاول أن يضع حدا دقيقا للمصطلح، وكل يراه من زاويته الخاصة ويعرّفه بناء على محصوله المعرفي، والعجيب أنّهم لا يتفقون فيها، فأحد يرى أنّ المنهج والطريقة مترادفين والآخر يرى أن الاتجاه والمنهج مترادفين، وكل يضرب مثالا لتأكيد وجهة نظره.

والظاهر أن بينهما عموم وخصوص، فالاتجاه قد يشترك فيه مجموعة من المناهج، والاتجاه أعم من المنهج، فالاتجاه بالمأثور مثلا هو قاسم مشترك لعدة تفاسير تختلف مناهج أصحابها فيها.

المطلب الثاني: الاتجاهات العامة للتفسير

لقد أضحت الكتابة حول اتجاهات التفسير من أغزر المواضيع التي يتعاطاها الباحثون في العصر الحديث، وكثرت المؤلفات والرسائل العلمية [3]؛ لدرجة كبيرة لا يمكن إحصاؤها، كما وقد عرّج لهذا الموضوع كل من تناول علم التفسير بالدراسة [4]، لذلك قسِّمت الاتجاهات التفسيرية إلى أقسام متعدِّدة من جهات مختلفة، ولا أراني في حاجة الوقوف عندها، لأنّ الحديث يطول وليس له حدّ؛ فوجهات النظر مختلفة، والمعايير التي يبني عليها كل باحث تقسيمه –أحيانا–غير دقيقة، وما على القارئ الكريم إلا الرجوع إلى الكتب في مظانها، وسأكتفي بإيراد التقسيم الذي أختاره؛ وفق المعايير التي ارتأيت وضعها، بهدف دراسة الموضوع وفق نظام منطقي، فالاتفاق على المعايير المحدّدة المعالم؛ يساعد على سبر الموضوع بشكل أوضح.

---

[1]- فضل حسن عباس: **التفسير أساسياته واتجاهاته**، ط1: 1426هـ/2005م، مكتبة دنديس، عمان- الأردن، ص 44.

[2]- فهد الرومي: **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، المرجع السابق، ص 55.

[3] - منها على سبيل المثال لا الحصر: فهد الرومي (اتجاهات **التفسير في القرن الرابع عشر الهجري**)؛ عفت الشرقاوي (اتجاهات **التفسير في مصر في العصر الحديث**)؛ إبراهيم الشريف (اتجاهات **التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين**)؛ عبد المجيد المحتسب (اتجاهات **التفسير في العصر الراهن**).

[4] - ينظر: حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون**، (ج 1، ص 255 – 284)؛ خالد العك: **أصول التفسير وقواعده**، (ص 107-261).

وسنبدأ من حيث وصل إليه علماؤنا الأفاضل من تقسيم للتفسير؛ شمل نوعين اثنين، هما: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ليكون تقسيمنا للاتجاهات التفسيرية، في مخطط كالآتي:

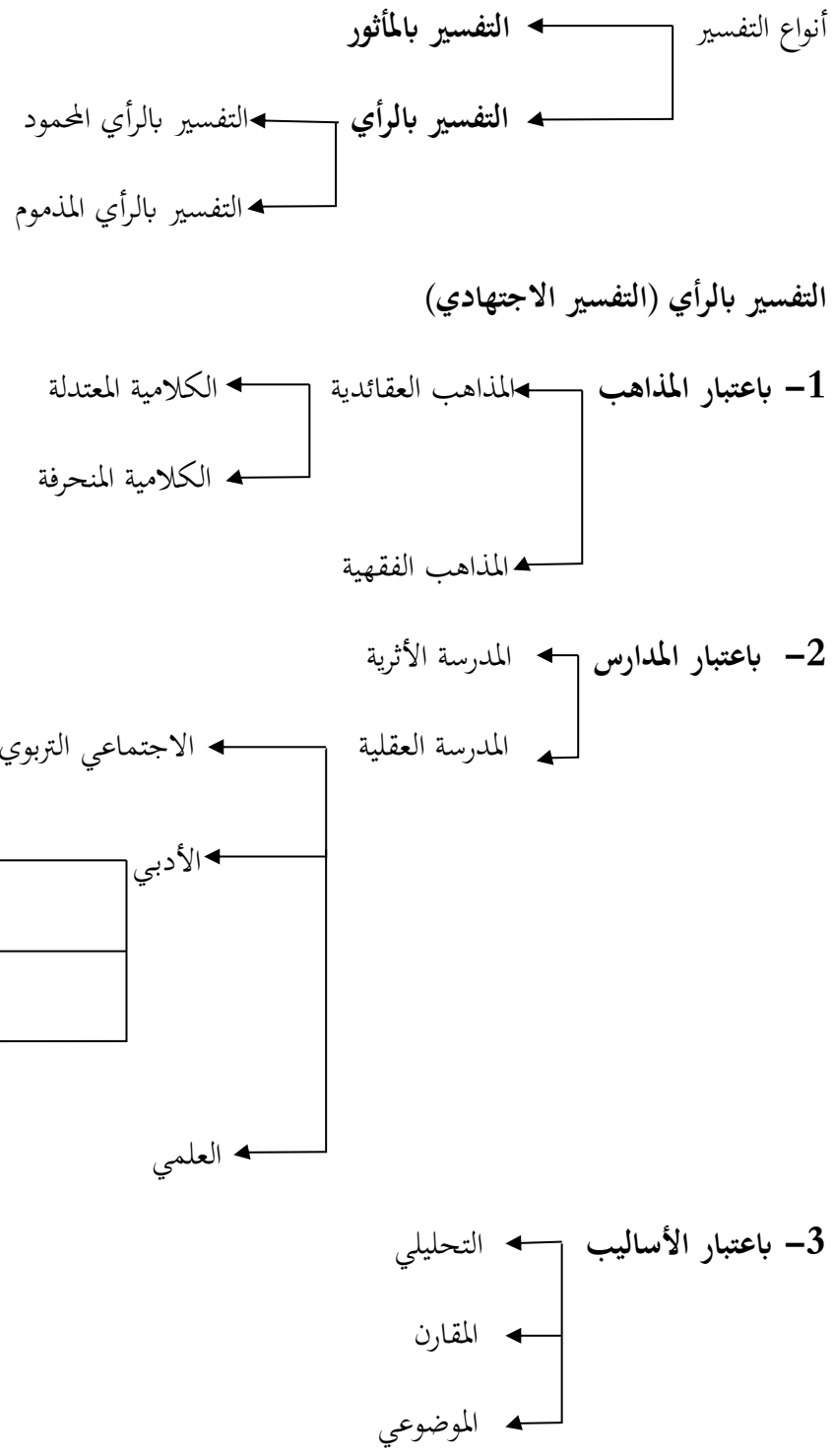

الشكل رقم (01): مخطط الاتجاهات العامة للتفسير

لقد انطلقنا من تقسيم التفسير المتفق عليه، إذ يعدّ التفسير بالمأثور من أقدم المناهج التفسيرية، وهو أوّل خطوة في طريق أي اتجاه تفسيري، إذ على المفسِّر؛ الذي يبتغي سلوك المنهج القويم أن يتعرَّض أولا؛ لاستنباط المعاني من الآيات القرآنية الأخرى، ثم لما ورد من روايات مأثورة، ولذلك سمي بالتفسير الروائي والأثري والتفسير بالرواية؛ ويقابله التفسير بالدراية أو بالرأي والاجتهاد، وهذا هو الذي تضاربت فيه الفهوم واختلفت فيه وجهات النظر، بين مجيز بقيود وتحفظ، وبين مانع بإطلاق ومانع بشروط، وقد أشرنا إليه من قبل، ويكفي القول أنّه عماد الاتجاهات التفسيرية المتعدِّدة، سواءً الأثرية التي تخللتها بعض الترجيحات العقلية، أو العقلية التي امتزجت بالروايات النقلية، فلا شك أنّ معظم التفاسير –أو كلها بوجه أصحّ– تحتوي على الرواية والدراية معا، فانتقاء المرويات وتمحيصها والتعقيب عليها هو وجه من وجوه إعمال الفكر والعقل، ثم إنّ كليهما يصب في مصب واحد؛ هو محاولة استجلاء المعاني في الخطاب الرباني.

إنّما نقصد من وراء دراسة الاتجاهات التفسيرية وتحديدها بدقة، هو معرفة النمط الغالب على التفسير، لإدراك خصائصه وتتبع مميزاته تسهيلا للفهم. وقد وضعت ثلاث معايير رئيسية يمكن بواسطتها تحديد الاتجاهات، فاعتبار المذاهب يحدِّد لنا الوجهة الصحيحة التي يجب علينا انتقاء التفسير من أجلها، واعتبار المدارس يساعدنا في فهم الاتجاهات التابعة للمدرسة الأثرية، أو اتجاهات المدرسة العقلية الحديثة؛ التي بدأت بتفسير المنار، ثم انبثق عنها الاتجاه الأدبي، وشمل التفسير البياني، والتصوير الفني، ثم التفسير الحداثي، وستكون لنا عنده وقفة في الفصول المقبلة الخاصة بتطور هذا اللون من التفسير.

وكذلك التفسير العلمي الذي نشأ في أحضان المنهج التجريبي، وظهر في التفاسير القديمة، وأبرزها (مفاتيح الغيب) في القرن السابع الهجري، ولحد اليوم ما زال بين أخذ ورد بخصوص جوازه أو معارضته، أما المعيار الثالث فهو يتعلق باعتبار الأساليب، حيث يعكس الجانب التطبيقي؛ الذي سار عليه المفسِّر في تناوله للآيات القرآنية، فقد يتخذ الطريقة التحليلية لكل آية يعرض لها ويظهر كل ما يتعلق بها من سبب نزول، وشرح لغوي، وتعليل نحوي وبلاغي وهكذا.

وقد يكتفي بإظهار المعنى الإجمالي للآية، وقد يتناولها من خلال مقارنتها بآيات أخرى، أو جعل آية قرينة على فهم الآيات الأخرى، ثم الخروج برأي نهائي حول الموضوع القرآني المعالج، وهذا الأسلوب مستنبط من طريقة تفسير القرآن بالقرآن، وسمي حديثا بالتفسير الموضوعي، إذ قد يختار المفسِّر موضوعا معينا[1]، ويجمع كل الآيات المتعلقة به، ويبسطها بالشرح والفهم.

[1] – كما فعل الدكتور يوسف القرضاوي في موضوع الصبر.

المطلب الثالث– الحكم على اتجاهات التفسير بين القبول والرد:

ترجع أسباب نشوء تلك الاتجاهات والمناهج التفسيرية على مرِّ العصور، إلى عوامل عدّة منها ما هو مباشر، ومنها ما هو غير مباشر؛ لكنه يؤثر بطريقة أو بأخرى، فالأوضاع السياسية وقضايا الحكم والسلطة لها تأثير واضح وجلي على اتجاهات التفسير واختيارات المفسّرين وآرائهم العقدية والفقهية.

وهذه التفاسير على اختلافها وتنوعها وتفاوتها من حيث الكمال فإنها لا تخلو جميعا من النقائص والثغرات، وهذه الأخيرة قد تبلغ أحيانا درجة من الدقة والخفاء يصعب معها التنبه إليها، ومن هنا كان من الواجب تنبيه طالب العلم إلى هذه المزالق الوعرة والمسالك الصعبة، فقد كتب البعض منها من طرف أرباب نحل ومذاهب فكرية واعتقادية لا تسلم من النقد والطعن فيها، وقد وضعوا هذه التفاسير بغرض التمكين لمذاهبهم والترويج لها مما يستدعي تتبع هذه الأعمال والتنبيه على ما فيها من محاذير ومفاسد، وهذا الذي أشرنا له في المخطط باسم (المذاهب الكلامية المنحرفة) وهي لا شك اتجاهات ترد وترفض.

أما ما يخص الاتجاهات التفسيرية المقبولة منها، نهدف لدراسة طبيعة هذه التفاسير والجوانب التي اهتمت بها على حساب جوانب أخرى، فالقرآن الكريم قد لقي من الدراسة والبحث والتفسير ما لا يمكن أن يحيط به طالب علم بحال من الأحوال، فكان من باب تقريب هذه المادة العلمية إلى الباحثين إطلاع طالب العلم على مناهج أصحابها ومسالكهم في كتبهم لتيسير الإفادة منها. وهذا كثيرا ما يساعد الباحث ويوفر عليه الجهد والوقت، فيعرف كل مسألة في التفسير ومظانها.

وقد يتساءل أحد، لماذا هذا الاختلاف والقرآن واحد، ألا يفترض أن يكون منهجا واحدا واتجاها واحدا، والحقيقة لو استعرضنا خلافات المفسرين لوجدناها بعيدة عن الأمور المجمع عليها في العقيدة والأحكام والأخلاق، إنّما يعود الاختلاف لتعدّد التأويلات والقراءات، فمنها ما يعود للغة فهي حمّالة أوجه، ومنها ما يعود لعقول المتعاطين للنص القرآني، فالله يفتح أبواب الفهم والإدراك لمن يشاء من خلقه، ولذا نجد بعضهم يرد أقوال بعض، وقد يرجّح قولا كان مرجوحا عند كثير من المفسرين، وقد يفتح الله لمتأخر ما لا يفتح به لمتقدم، لكننا لسنا ملزمين بكل ما جاء في كتب التفسير من أقوال، خاصة الأقوال الخلافية التي لا علاقة لها بجوهر التفسير، فذاك شأن آخر، وليس هذا مقام التحدث فيه، كما قال القائل:

وليس كل خلاف جاء معتبرا إلا خلافا له حظ من النظر

بل نقصد خلاف التنوع لا خلاف التضاد، وهنا لا شك يكون الاختلاف أمرا إيجابيا، إذ فيه ثراء للفكر وغناء للمعنى، يعكس لنا حركة علمية دؤوب عبر مرّ السنين، بدأت مع القدامى ونضجت، واستمرت مع المحدثين وتجدّدت، وسيبقى تفسير القرآن أبد الدهر معينا لا ينضب، إذ هو علم لم ينضج ولم يحترق، وسيظل خالدا بخلود القرآن، فكتاب الله لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

وفي نهاية المطاف نقول أنّ التراث الإسلامي فيما يخص التفسير؛ أشبه ما يكون بألوان الطيف، كلّما تنوع وتعدّد، كلّما ازدهر وازدان، ولا يحق لنّا جعله لون جون أوحد؛ بين بياض أو سواد، فلا نذهب مع الفريق الذي يطالب بالتجديد حد المغالاة، ولا نسلك مسلك الفريق؛ الذي يرفض التجديد في كل شيء، بل علينا الرجوع لتراثنا والاعتزاز بمرجعيتنا وتمحيص موروثنا التفسيري من جهة، ومواجهة الوافد بأدوات قويمة تعين على غربلته؛ للإفادة من خيره ودحض غيره من جهة أخرى، فإذا التزمنا بهذا الأمر أصبح من حقنا خوض غمار التفسير، واستثمار الخلاف فيه، فالاختلاف الفكري حق مشروع وحقيقة قائمة لا مفّر منها، وصحة اتجاهات التفسير وسلامتها وبراعتها؛ تكمن في تنوعها الذي يعكس قداسة النص القرآني وأسراره العجيبة، ويعكس لنا الجهود المبذولة من طرف متذوقيه؛ لاستخراج كنوزه ولآلئه.

المحاضرة الثانية: ضوابط اعتبار اتجاهات التفسير

تعددت اتجاهات التفسير تبعا لثقافة المفسرين وتخصصاتهم وتطور العلوم، –كما رأينا في المحاضرة السابقة– ولضبط هذه الاتجاهات ومنع الشطط، وضع العلماء ضوابط معتبرة تضمن سلامة الفهم والالتزام بمراد الله تعالى.

المطلب الأول– أبرز ضوابط اعتبار اتجاهات التفسير:

أولا– ضوابط عامة (لجميع الاتجاهات):

1– **الالتزام بظاهر النص: فيتوجب** الالتزام بالمعنى الذي يدل عليه النص القرآني، ما لم يوجد صارف نعتبر عن إرادة المعنى الظاهر.

2– **سلامة الاعتقاد:** أن يكون المفسر سليم العقيدة، موافقا لمنهج أهل السنة والجماعة، لتجنب تحريف الآيات لتوافق أهواءه.

3– **المرجعية المأثورة:** البدء بتفسير بالمأثور (تفسير القرآن بالقرآن ثم السنة ثم أقوال الصحابة والتابعين).

4– **قواعد اللغة العربية:** مراعاة قواعد اللغة العربية ومدلولات ألفاظها المدونة في المعاجم العربية.

ثم إنّ العلماء الأفاضل وضعوا عدة ضوابط للمفسّر، وقد حوت كل كتب علوم القرآن على فصل يخصّ شروط المتصدي للتفسير. ومن المهم جدا أن نطلع عليها، وهي تخص جميع الاتجاهات التفسيرية.

المطلب الثاني: شروط المفسر وآدابه:

إنّ معرفة الشروط التي يحتاج إليها المفسر لكتاب الله عزّ وجل، من الضرورات الملحة في التعامل معه؛ شرحا وبيانا وتوضيحا، سواء أكانت تلك الشروط تتعلق بأخلاق من سيتصدى للتفسير، أم كانت تتعلق بالمنهجية الواجب الالتزام بها؛ ليسير وفق قواعد التفسير السليمة .

كما أنّه يشترط في حق من أراد خوض غمار التفسير، إتقان جملة من العلوم والمعارف والأدوات حتى يكون مؤهلا لذلك، فبواسطتها يجيد مخاطبة النص القرآني ويوفّق في استخراج الأحكام واستنباط الأدلة واستجلاء المعاني .

وقد تكلَّم العلماء عن هذه الشروط التي سنسوقها، فهي تمثل الركيزة المتينة التي يعتمد عليها المفسِّر، وهي بمثابة صمَّام الأمان الذي يقف في وجه كل من تُسوِّغ له نفسه القول في كتاب الله بمجرد الهوى والرأي المذموم، وقد اخترت أن أسوقها في نقاط مختصرة تسهيلا للمادة العلمية، كما أنّني قسَّمتها إلى ثلاثة أجزاء، قسم يتعلق بشخصية المفسِّر وأخلاقه، وقسم للعلوم الواجب الإلمام بها، وقسم خاص بمنهجية التفسير التي يتوجب الالتزام بها.

الفرع الأول– ما يتعلق بآداب المفسر:

أولا– صحة الاعتقاد: لا شك أنّ صحة عقيدة المفسّر شرط أساسي، فصاحب العقيدة السليمة سيكون تفسيره بعيدا عن انحرافات أهل الزيغ والضلال، أما إذا كانت العقيدة منحرفة فإنّها كثيرا ما تحمل أصحابها على تحريف النصوص ولَيِّي أعناقها بما يتوافق مع الميولات العقائدية، كما لا يستبعد عنهم " الخيانة في نقل المرويات والأخبار ."

ثانيا– صحة المقصد: وذلك بإخلاص النيّة لله عزّ وجل، وأن يقصد بعمله التقرب إلى الله تعالى دون غيره، كأن ينتظر جزاءً من أحد أو شكرا ومحمدة من الخلق، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿69﴾ ﴾ (العنكبوت: 69)

ثالثا–التجرد عن الهوى: ذلك أنّ الأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذاهبهم والتعصب لآرائهم وتأويل القرآن بما يوافق معتقداتهم.

رابعا– أن يكون صاحب عزيمة، ذكي الفهم قوي الفكرة، حتى تكون له القدرة على استنطاق الآيات القرآنية، وتوجيه المعاني، واستنباط الأحكام من النصوص، وترجيح معنى على آخر، وهذا ما يسمى بعلم الموهبة .

الفرع الثاني– ما يتعلق بالعلوم الواجب معرفتها :

أولا– علوم اللغة: لأنّ بها يعرف شرح المفردات ومدلولاتها بحسب الوضع، وما يتعلق بها من نحو وصرف واشتقاق. يقول القرطبي : " هل باستطاعة أحد أن يفسر قوله تعالى في سورة البقرة (**للذين يولون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم**).دون أن يعرف المعنى اللغوي للإيلاء والتربص والفيء " [1]. وقال الإمام مالك: " لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسِّر كتاب الله إلا جعلته نكالا " [2].

وقال مجاهد:" لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب" [3] ، وهو بذلك يذّكر بفداحة التجرؤ على تفسير كلام الله من غير رصيد من اللغة. فكل من علم النحو والصرف والاشتقاق ضروري على المفسر أن يضطلع فيها، إذ أنّ العلم اليسير منها لا يكفي لتخويل أحد بمهمة التفسير، كما أنّ علوم البلاغة مهمة لمن أراد تفسير الكتاب العزيز، فلابد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز لمعرفة أسرار البيان، وذلك إذا تصورنا أنّ القرآن من

---

[1]– القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، تح: عبد الله التركي، ط1: 1427هـ/2006م، بيروت – لبنان، (33/1).

[2]– السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، (ص 701).

[3] – السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، (ص 703).

حيث الروعة في الأسلوب، ومن حيث الرصانة في العبارة، ومن حيث الجلال في المعنى الذي يفيض به؛ لهو غاية الإعجاز، ومثل هذه المعاني التي تتدفق من خلال القرآن لا تدرك إلا بهذه العلوم .

ثانيا–علم القراءات: لابد للمفسّر الإحاطة بهذا العلم، بالرغم من أنّ غايته معرفة كيفية النطق بألفاظ القرآن، إلا أنّ المفسِّر يحتاج إليه في ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض؛ بما قد يؤول إلى اختلاف في المعنى أو الحكم، كما أنّه يعين على توجيه المعاني المتعدِّدة .

ثالثا– علم أصول الدين: وبه يتمكن المفسّر من الاستدلال على آيات التوحيد وما يجب في حقه سبحانه وتعالى وما يستحيل، كما يمكِّنه من النظر في الآيات المتعلِّقة بالإلهيات والسمعيات وما شابه ذلك .

رابعا–أصول الفقه: لأنّ معرفة قواعد أصول الفقه، تعين على استنباط الأحكام من الآيات القرآنية .

خامسا– معرفة أسباب النزول: فهي من أعظم الطرق في فهم معنى الآية، وكثيرا ما يعين معرفة سبب النزول؛ على فهم المراد وإزالة الغموض، فهو بذلك يمهِّد للوقوف على المعنى الحقيقي للنص القرآني، يقول شيخ الإسلام –ابن تيمية–: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبّب" [1].

سادسا– علم الناسخ والمنسوخ: فهو ضروري للمفسِّر أن يحيط به ليعلم المحكم من غيره.

سابعا–أن يكون عالما بأحكام الشريعة من العبادات والمعاملات، والسنن الواردة فيها ليضع الآيات التي تنتظم هذه الأحكام مواضعها.

وأضاف محمد عبده:

ثامنا– العلم بأحوال البشر في مختلف أطوارهم، ومعرفة السنن الإلهية الكونية في تطور الأمم واختلاف أحوالهم، من قوة وضعف، وعزّ وذل، وكفر وإيمان، وهذا لا يتأتى إلا بمعرفة فنون وعلوم كثيرة منها: علم التاريخ، علم النفس، علم الاجتماع البشري .

وقد أشار ابن باديس إلى حقيقة عظمى بهذا الصدد، ألا وهي ارتباط التفسير ببيئة المفسّر وأحوالها الاجتماعية وظروفها المعاشية وأبعادها السياسية والثقافية إذ يقول: "وكل عالم إنّما يعطي صورة زمانه بعد أن يكيِّف به نفسه " [2].

---

[1] – أمير عبد العزيز: **دراسات في علوم القرآن**، المرجع السابق، ص 80.

[2] – ابن باديس: **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، ص 411.

وهنا نلمح عاملين أساسين في التأثير؛ العامل الأول يتمثل في تأثير الواقع على المفسِّر وكيفية انسجامه معه وتمازجه فيه، لينتج عنه العامل الثاني وهو انعكاس ذلك الواقع على التفسير، فبواسطته نتمكن من رؤية الصورة العاكسة لزمان المفسّر، والمؤثرة على القارئ في زمان آخر.

تاسعا– العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن، فيتوجب على المفسِّر أن يعلم ما كان عليه النّاس في عصر النبوة من العرب وغيرهم، وأنّ النبي – عليه الصلاة والسلام– بعث به لهدايتهم وإسعادهم .

عاشرا– العلم بسيرة النبي – عليه الصلاة والسلام– وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشؤون دنيويها وأخرويها [1].

الفرع الثالث– ما يتعلق بمنهجية التفسير:

أولا–أن يطلب تفسير القرآن بالقرآن؛ فما أجمل منه في موضع، فقد فصِّل في موضع آخر، وما اختصر في موضع فقد بسط في موضع آخر، وما أطلق في موضع قيّد في موضع آخر، فالقرآن كثيرا ما يفسِّر بعضه بعضا؛ وهو أصدق مصدر يعتمد عليه العلماء لفهم ما يراد من الآيات، "وقد أجمع العلماء على أنّ من أراد تفسير القرآن الكريم طلبه أولا من القرآن"[2].

ثانيا–أن يطلب تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة، "لأنّها مبيّنة له وشارحة لمعناه" [3]، فهي من أعظم المصادر التي يحتاج إليها طالب التفسير؛ ليتمكن من الوقوف على معاني الآيات والسور، وما تحمله من مقاصد وأحكام، فقد وردت في القرآن على نحو من العموم والشمول، فجاءت السنة موضحة لكتاب الله ومفسِّرة لما جاء فيه من إجمال، كما عليه أن يعتمد على النقل الصحيح فيما روي عن النبي ﷺ.

ثالثا– الرجوع لأقوال الصحابة؛ ممن اشتهروا بتفسير كتاب الله، فهم أدرى بعلومه ومعانيه، لما شاهدوه من القرائن والأحوال فقد عايشوا نزوله، "ولما خصوا به من العلم الصحيح والفهم التام" [4] ، كما أنّه نزل بلغتهم فهم أفقه له وأعلم به.

---

[1] – ينظر: محمد رشيد رضا: **تفسير القرآن الحكيم للشيخ محمد عبده،** ط2: 1366هـ/ 1947م، دار المنار بالقاهرة– مصر، (ص 22- 24)

[2] – عبد الرحمن العك: **أصول التفسير وقواعده،** ص 79.

[3] – ينظر: الزركشي: **البرهان في علوم القرآن،** المصدر السابق (292/2)؛ السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن،** (ص695)؛ عبد العظيم الزرقاني: **مناهل العرفان** (13/2).

[4] – الزركشي: **البرهان في علوم القرآن،** المصدر السابق (2/ 173)؛ السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن،** المصدر السابق (ص 696).

رابعا–الرجوع لأقوال التابعين فهم أول من أخذ علم الصحابة – رضي الله عنهم.

خامسا– الرجوع إلى مصادر اللغة: ذلك أنّ القرآن نزل بلغة العرب، ويتوقف فهم المفردات على معرفة مدلولاتها من مظانها الأولى بحسب ما وضعت له .

سادسا– فهم عادات العرب ومعتقداتهم في الجاهلية وقد أبطلها الإسلام.

هذه أهم الشروط التي أجمع أغلب العلماء على وجوب توفرها؛ لمن أراد أن يفسِّر كتاب الله، لتحصيل أعلى مراتب التفسير، وإن كان بعضهم قد ذكر كل العلوم، بينما اكتفى البعض الآخر بذكر أهمها، وليس ما أثبتناه هنا حصرا لجميع العلوم التي يحتاجها المفسّر بقدر ما هي إطلاع على أغلبها، فعلوم القرآن فضاء مفتوح يتجدّد ويتطوّر على مدى الأيّام، مفتوح على كلّ ميادين العلوم والمعارف. جاء في الإتقان:" فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسّر؛ لا يكون مفسِّرا إلا بتحصيلها، فمن فسَّر بدونها كان مفسِّرا بالرأي المنهي عنه، وإذا فسَّر مع حصولها لم يكن مفسِّرا بالرأي المنهي عنه "[1] .

خلاصة الأمر فإن هذه الضوابط تخص جميع الاتجاهات، وسنتحدث عن ضوابط كل تفسير في موضعه، وبناء على ذلك يعتبر أي اتجاه تفسيري مقبولا إذا كان يخدم النص القرآني ولا يصادمه، ويكون مردودا إذا كان متكلفا أو منحرفا عن أصول اللغة والشرع.

[1] – السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق (ص 705).

المحاضرة الثالثة: الاتجاه الأثري المعاصر

التفسير بالمأثور هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة، بيانا لمراد الله تعالى من كتابه، ونضيف إلى ذلك ما روي عن التابعين، وذلك لأخذهم عن الصحابة في غالب ما يقولون.

المبحث الأول– أقسام التفسير بالمأثور:

أولا– مثال ما جاء في القرآن: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ ﴿1﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿2﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿3﴾﴾ (الطارق: 3) فالنجم الثاقب بيان لكلمة الطارق التي قبلها، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿23﴾﴾(الأعراف: 23) فإنها بيان للفظ (كلمات) من قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿37﴾﴾ (البقرة: 37).

ثانيا– مثال ما جاء في السنة شرحا للقرآن: أنّه ﷺ فسّر الظلم بالشرك في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿82﴾﴾ (الأنعام: 82) واستند ﷺ في تفسيره هذا إلى قول الله تعالى﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿13﴾﴾

ثالثا– بيان القرآن بما صحّ وروده عن الصحابة رضوان الله عليهم: اتفق العلماء على أنّ تفسير الصحابي؛ الذي شهد الوحي له حكم المرفوع، " وقيّده بعضهم بما كان في بيان سبب النزول ونحوه، مما لا مجال للرأي فيه، وإلاّ فهو من الموقوف" [1].

أما دور الصحابة في تفسير القرآن فهو معروف، ذلك أنّهم تلقوا القرآن وتفسيره من النبي ﷺ مباشرة، كما أنّهم عاصروا الوحي وشهدوا أسباب النزول وعاينوا دواعيه، فكانوا أعلم الناس بتفسيره.

أما التابعون فإنّ ما نقل عنهم فهو موضع خلاف العلماء كما ذكرنا ذلك سابقا، فمنهم من يعتبره تفسيرا مأثورا، لأنّهم تلقوه من الصحابة غالبا، وذهب آخرون إلى أنّه من قبيل التفسير بالرأي.

---

[1]– حسن أيوب: **الحديث في علوم القرآن والحديث**، المرجع السابق، ص 138.

ومما يجدر بنا الإشارة إليه هنا، هو أنّ بعض التابعين أخذوا تفسيرهم كله عن الصحابة، كمجاهد[1]، كما لا ننسى أنهم عايشوا صحابة الرسول، واستقوا علومهم منهم، فهم من السلف الأخيار، إنّما نحتاج إلى تمحيص ما روي عنهم؛ من خلال البحث في السند الصحيح، وغربلة ما نقل عنهم من روايات ضعيفة دون تحرّ وتدقيق، ولعل هذا الأمر بالذات ما قصده الإمام أحمد بن حنبل حينما قال:" ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي "[2] وهو يقصد دون شك أنّ الصحيح من التفسير قليل نادر.

حتى قال الشافعي :" لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث"[3].

المبحث الثاني– نماذج من التفسير المعاصر بالمأثور:

المطلب الأول –تفسير التحرير والتنوير: سنعرض النموذج التطبيقي الذي يتمثل في سورة الكوثر من تفسير: (**التحرير والتنوير) لصاحبه محمد الطاهر بن عاشور.**

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾

سميت هذه السورة في جميع المصاحف التي رأيناها وفي جميع التفاسير أيضا (سورة الكوثر) وكذلك عنونها الترمذي في كتاب التفسير من جامعه، وعنونها البخاري في صحيحه سورة (إنا أعطيناك الكوثر) ولم يعدّها في الإتقان مع السور التي ذكر لها أكثر من اسم.

ونقل سعد الله الشهير بسعدي في حاشيته على تفسير البيضاوي عن البقاعي، أنّها تسمى (سورة النحر) وهل هي مكية أو مدنية؟ تعارضت الأقوال والآثار في أنها مكية أو مدنية تعارضا شديدا، فهي مكية عند الجمهور واقتصر عليه أكثر المفسرين، ونقل الخفاجي عن كتاب النشر قال: أجمع من نعرفه على أنها مكية، قال الخفاجي: وفيه نظر مع وجود الاختلاف فيها [4].

وعن الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمة هي مدنية ويشهد لهم ما في صحيح مسلم عن أنس بن مالك: (بينا رسول الله ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه وقال: أنزلت عليَ آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر) ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه

---

[1]– ذكر عن مجاهد قوله: " عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أستوقفه عند كل آية وأسأله عنها "، ينظر: السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، ص 719.

[2]– السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، ص 699.

[3]– حسن أيوب: **الحديث في علوم القرآن والحديث**، المرجع السابق، ص 144.

[4] – ينظر: محمد طاهر بن عاشور: **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، ط: 1984، تونس، ج 30، ص 571.

ربي عز وجل، عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة). وأنس أسلم في صدر الهجرة فإذا كان لفظ (آنفا) في كلام النبي – عليه الصلاة والسلام- مستعملا في ظاهر معناه وهو الزمن القريب، فالسورة نزلت منذ وقت قريب من حصول تلك الرؤيا.

ومقتضى ما يروى في تفسير قول تعالى: (إن شانئك هو الأبتر) أن تكون السورة مكية، ومقتضى ظاهر تفسير قوله تعالى (وانحر) من أن النحر في الحج أو يوم الأضحى تكون السورة مدنية ويبعث على أن قوله تعالى (إن شانئك هو الأبتر) لس رداً على كلام العاصي بن وائل كما سنبين ذلك.

والأظهر أن هذه السورة مدنية وعلى هذا سنعتمد في تفسير آياتها، وعلى القول بأنها مكية عدّوها الخامسة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة العاديات وقبل سورة التكاثر، وعلى القول بأنها مدنية فقد قيل: إنها نزلت في الحديبية.

وعدد آيها ثلاث بالاتفاق، وهي أقصر سور القرآن عدد كلمات وعدد حروف، وأما في عدد الآيات فسورة العصر وسورة النصر مثلها ولكن كلماتها أكثر [1].

1-أغراضها:

اشتملت على بشارة النبي ﷺ بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وأمره بأن يشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة، وأن ذلك هو الكمال الحق لا ما يتطاول به المشركون على المسلمين بالثروة والنعمة وهم مغضوب عليهم من الله تعالى لأنهم أبغضوا رسوله، وغضب الله بتر لهم إذا كانوا بمحل السخط من الله، وأن انقطاع الولد الذكر فليس بترا لأن ذلك لا أثر له في كمال الإنسان.

4- تحليل معاني الآيات:

(إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر) افتتاح الكلام بحرف التأكيد للاهتمام بالخبر، والإشعار بأنه شيء عظيم يستتبع الإشعار بتنويه شأن النبي – صلى الله عليه وسلم- كما تقدم في (إنا أنزلناه في ليلة القدر) والكلام مسوق مساق البشارة وإنشاء العطاء لا مساق الإخبار بعطاء سابق، وضمير العظمة مشعر بالامتنان بعطاء عظيم [2].

والكوثر: اسم في اللغة للخير الكثير صيغ على زنة فوعل، وهي من صيغ الأسماء الجامدة غالبا نحو الكوكب والجورب والدوسر، ولا تدل في الجوامد على غير مسماها، ولما وقع هنا فيها مادة الكثر كانت صيغته مفيدة شدة ما اشتقت منه بناء على أن زيادة المبنى تؤذن بزيادة المعنى، ولذلك فسره الزمخشري بالمفرط في الكثرة، وهو أحسن ما فسّر به وأضبطه،

[1]- ينظر: **التحرير والتنوير**، ج 30، ص 572.

[2] - ينظر: المرجع السابق، ج 30، ص 572.

ونظيره: جوهر، بمعنى الشجاع كأنه يجاهر عدوه، والصومعة لاشتقاقها من وصف أصمع وهو دقيق الأعضاء لأن الصومعة دقيقة لأن طولها أفرط من غلظها.

ويوصف الرجل صاحب الخير الكثير بكوثر من باب الوصف بالمصدر كما في قول لبيد في رثاء عوف بن الأحوص الأسدي:

وصاحب ملحوب فجعنا بفقده وعند الرداع بيت آخر كوثر

(ملحوب والرداع) كلاهما ماء لبني أسد بن خزيمة، فوصف البيت بكوثر، ونجد مثله عند الكميت في مدح عبد الملك بن مروان:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقايل كوثرا

وسمي نهر الجنة كوثرا كما في حديث أنس بن مالك المتقدم آنفا، وقد فسّر السلف الكوثر في هذه الآية بتفاسير أعمها أنه الخير الكثير، وروي عن ابن عباس قال سعيد بن جبير فقلت لابن عباس: إن ناسا يقولون هو نهر في الجنة، فقال: هو من الخير الكثير.

وعن عكرمة: الكوثر هنا: النبوءة والكتاب.

وعن الحسن: هو القرآن، وعن المغيرة أنه الإسلام وعن أبي بكر بن عياش: هو كثرة الأمة، وحكى الماوردي: أنه رفعة الذكر، أنه نور القلب وأنه الشفاعة، وكلام النبي – عليه الصلاة والسلام- المروي في حديث أنس لا يقتضي حصر معاني اللفظ فيما ذكره.

وأريد من هذا الخبر بشارة النبي ﷺ وإزالة ما عسى أن يكون في خاطره من قول من قال فيه: هو الأبتر، فقوبل معنى الأبتر بمعنى الكوثر، إبطالا لقولهم.

وقوله (فصل لربك) اعتراض والفاء للتفريع على هذه البشارة بأن يشكر ربه عليها، فإن الصلاة أفعال وأقوال دالة على تعظيم الله والثناء عليه وذلك شكر لنعمته [1].

وناسب أن يكون الشكر بالازدياد مما عاداه عليه المشركون وغيرهم ممن قالوا مقالتهم الشنعاء: إنه أبتر، فإن الصلاة لله شكر له وإغاظة للذين ينهونه عن الصلاة كما قال تعالى (أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى) لأنهم إنما نهوه عن الصلاة التي هو لوجه الله دون العبادة لأصنامهم وكذلك النحر لله.

[1]- ينظر: **التحرير والتنوير**، المرجع السابق، ج30، ص 574.

والعدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله (فصل لربك) دون: فصلّ لنا، لما في لفظ الرب من الإيماء إلى استحقاقه العبادة لأجل ربوبيته فضلا عن فرط إنعامه، وإضافة (رب) إلى ضمير المخاطب لقصد تشريف النبي ﷺ وتقريبه، وفيه تعريض بأنه يربُّه ويرأف به.

ويتعين أن في تفريع الأمر بالنحر مع الأمر بالصلاة على أن أعطاه الكوثر خصوصية تناسب الغرض الذي نزلت السورة له، ألا ترى أنه لم يذكر الأمر بالنحر مع الصلاة في قوله تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) في سورة الحجر.

ويظهر أن هذه تسلية لرسول الله – عليه الصلاة والسلام- عن صد المشركين إياه عن البيت في الحديبية، فأعلمه الله تعالى بأنه أعطاه خيرا كثيرا، أي قدره له في المستقبل وعبر عنه بالماضي لتحقيق لوقوعه، فيكون معنى الآية كمعنى قوله تعالى: (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) فإنه نزل في أمر الحديبية فقد قال له عمر بن الخطاب: أفتح هذا؟ قال: نعم. وهذا يرجع إلى ما رواه الطبري عن قول سعيد بن جبير: أن قوله (فصل لربك وانحر) أمر بأن يصلي وينحر هديه وينصرف من الحديبية.

وأفادت اللام من قوله (لربك) أنه يخص الله بصلاته فلا يصلي لغيره، ففيه تعريض بالمشركين بأنهم يصلون للأصنام بالسجود لها والطواف حولها.

وعطف (وانحر) على (فصل لربك) يقتضي تقدير متعلقه مماثلا لمتعلق (فصل لربك) لدلالة ما قبله عليه كما في قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) أي وأبصر بهم، فالتقدير: وانحر له، وهو إيماء إلى إبطال نحر المشركين قربانا للأصنام.

فإن كانت السورة مكية فلعل رسول الله – عليه الصلاة والسلام- حين اقترب وقت الحج وكان يحج كل عام قبل البعثة وبعدها قد تردد في نحر هداياه في الحج بعد بعثته، وهو يود أن يطعم المحاويج من أهل مكة ومن يحضر الموسم ويتحرج من أن يشارك أهل الشرك في أعمالهم فأمره الله أن ينحر الهدي لله ويطعمها المسلمين، أي لا يمنعك محرهم للأصنام أن تنحر أنت ناويا بما تنحره أنه لله [1].

وإن كانت السورة مدنية وكان نزولها قبل فرض الحج كان النحر مرادا به الضحايا يوم عيد النحر ولذلك قال كثير من الفقهاء إن قوله: (فصل لربك) مراد به صلاة العيد، وروي ذلك عن مالك في تفسير الآية وقال: لم يبلغني فيه شيء. وأخذوا من وقوع الأمر بالنحر بعد الأمر بالصلاة دلالة على أن الأضحية تكون بعد الصلاة، وعليه فالأمر بالنحر دون الذبح مع أن الضأن أفضل في الضحايا وهي لا تنحر، وأنّ النبي ﷺ لم يضح إلا بالضأن تغليب للفظ النحر وهو الذي روعي في تسمية يوم الأضحى يوم النحر.

[1] – ينظر: **التحرير والتنوير**، المرجع السابق، ج30، ص 575.

(إن شانئك هو الأبتر) استئناف يجوز أن يكون استئنافا ابتدائيا، ويجوز أن تكون الجملة تعليلا لحرف (إن) واشتمال الكلام على صيغة قصر وعلى ضمير الغائب وعلى لفظ الأبتر مؤذن بأن المقصود به ردّ كلام صادر من معيّن، وحكاية لفظ مراد بالرد، قال الواحدي: قال ابن عباس: إن العاصي بن وائل السهمي رأى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام عند باب بني سهم فتحدث معه وأناس من صناديد قريش في المسجد فلما دخل العاصي عليهم قالوا له: من الذي كنت تتحدث معه فقال: ذلك الأبتر، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ﷺ بعد أن مات ابنه القاسم قبل عبد الله فانقطع بموت عبد الله الذكور من ولده ﷺ يومئذ، وكانوا يصفون من ليس له ابن بأبتر فأنزل الله هذه السورة، فحصل القصر في قوله (إن شانئك هو الأبتر) لأن ضمير الفصل يفيد قصر صفة الأبتر على الموصوف وهو شانئ النبي ﷺ، قصر المسند على المسند إليه، وهو قصر قلب، أي هو الأبتر لا أنت.

والأبتر: حقيقته المقطوع بعضه وغلب على المقطوع ذنبه من الدواب ويستعار لمن نقص منه ما هو من الخير في نظر الناس تشبيها بالدابة المقطوع ذنبها تشبيه معقول بمحسوس كما في الحديث: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر) يقال: بتر شيئا إذا قطع بعضه وبتِر بالكسر كفرح فهو أبتر، ويقال للذي لا عقب له ذكورا، هو أبتر على الاستعارة تشبيه متخيل بمحسوس شبهوه بالدابة المقطوع ذنبها لأنه قطع أثره في تخيل أهل العرف [1].

ومعنى الأبتر في الآية الذي لا خير فيه وهو رد لقول العاصي بن وائل أو غيره في حق النبي ﷺ فبهذا المعنى استقام وصف العاصي أو غيره بالأبتر دون المعنى الذي عناه هو حيث لمز النبي ﷺ بأنه أبتر، أي لا عقب له لأن العاصي بن وائل له عقب، فابنه عمرو الصحابي الجليل، وابن ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابي الجليل، فقوله تعالى (هو الأبتر) اقتضت صيغة القصر إثبات صفة الأبتر لشانئ النبي ﷺ ونفيها عن النبي ﷺ وهو الأبتر بمعنى الذي لا خير فيه.

والشانئ المبغض وهو فاعل من الشناءة وهي البغض ويقال فيه: الشنآن وهو يشمل كل مبغض له من أهل الكفر، فكلهم بتر من الخير ما دام فيه شنآن للنبي ﷺ فأما من أسلموا منهم فقد انقلب بعضهم محبة له واعتزازا به [2].

المطلب الثاني– نموذج من تفسير الشيخ الأمين الشنقيطي (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن):

1 –اسمه ونسبه

هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد بن سيدي أحمد بن المختار. من أولاد الطالب أوبك، الذي هو من أولاد كرير بن الموافي بن يعقوب بن جاكن الأبر، جد القبيلة المعروفة بالجكنيين، التي يرجع نسبها إلى حمير، لقبه: آبا.

[1]– ينظر: **التحرير والتنوير**، ج 30، ص 567.

[2] – ينظر: **التحرير والتنوير**، ج 30، ص 577.

2- مولده ونشأته:

ولد الشيخ رحمه الله سنة (1325) بموريتانيا.[1] وقد نشأ الشيخ رحمه الله يتيما؛ إذ توفي والده وهو صبي صغير لا زال يقرأ في جزء عم من القرآن الكريم. فترعرع الغلام في بيت أخواله الذين هم من بني عمومته؛ ذلك أن والدته كانت ابنة عم أبيه، وكان ذلك البيت الذي تربى فيه الشيخ -رحمه الله- يزخر بمزيد من العلم فضلا عما يكتنف تلك البيئة من قطر شنقيط عموما من انتشار.

3-وصف الكتاب:

كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، من الكتب الشهيرة التي تعنى بحسب عنوانها ومقاصدها الكبرى بتفسير القرآن بالقرآن وقد طبع الكتاب مرارا وغالب طبعاته في تسعة أجزاء. سبعة منها من تأليف العلامة نفسه وهي من سورة الفاتحة الى سورة المجادلة، حيث وافته المنية قبل إتمامه. فقام بتأليفه تلميذه عطية محمد مسلم وهي تستغرق الجزئين الأخيرين من الكتاب وذلك من أول سورة الحشر إلى آخر القرآن.

4-سبب تأليف الكتاب:

جاء في مقدمة كتابه: واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران:

أحدهما: بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا، وقد التزمنا ألا نبين القرآن إلا بقراءة سبعية، سواء كانت قراءة أخرى في الآية المبينة نفسها، أو آية أخرى غيرها، ولا نعتمد على البيان بالقراءات الشاذة وربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهادا للبيان بقراءة سبعية، وقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات.

والثاني: بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة بالفتح في هذا الكتاب، فإننا نبين ما فيها من الأحكام، وأدلتها من السنة، وأقوال العلماء في ذلك، ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين، ولا لقول قائل معين، لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود، إلا كلامه ﷺ، ومعلوم أن الحق حق ولو كان قائله حقيرا. ألا ترى أن ملكة سبأ في حال كونها تسجد للشمس من دون الله هي وقومها لما قالت كلاما حقا صدقها

[1]- عبد العزيز صالح بن ابراهيم الطويان: **جهود الشيخ محمد الامين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف**، مكتبة العبيكة (8 149 1998) (ج1ص29).

الله فيه، ولم يكن كفرها مانعا من تصديقها في الحق الذي قالته، وذلك في قولها فيما ذكر الله عنها: {إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة} فقد قال تعالى[1] (وكذلك يفعلون).

5- المثال التطبيقي: سورة الشمس.

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿1﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿2﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿3﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿4﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿5﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿6﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿7﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿8﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿9﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿10﴾﴾

في تلك الآيات العشر: يقسم الله تعالى سبع مرات بسبع آيات كونية، هي: الشمس، والقمر، والليل، والنهار، والسماء، والأرض، والنفس البشرية، مع حالة لكل مقسم به، وذلك على شيء واحد، وهو فلاح من زكى تلك النفس وخيبة من دساها، ومع كل آية جاء القسم بها توجيها إلى أثرها العظيم المشاهد الملموس، الدال على القدرة الباهرة.

وذلك كالآتي أولا: والشمس وضحاها، فالشمس وحدها آية دالة على قدرة خالقها، لما فيها من طاقة حرارية في ذاتها تفوق كل تقدير، وهي على الزمان بدون انتقاص، فهي في ذاتها آية.

ثم جاء وصف أثرها وهو: «ضحاها»، وهو انتشار ضوئها ضحوة النهار، وهذا وحده آية، لأنه نتيجة لحركتها، وحركتها آية من آيات الله كما قال تعالى: وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم [36 \ 37 - 38]، وهي الآية التي حاج بها إبراهيم عليه السلام نمرود في قوله: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر [2 \ 258].

ففي هذا السير قدرة باهرة ودقة متناهية، «وضحاها»: نتيجة لهذا السير، ثم «ضحاها» نعم جزيلة على الكون كله، من انتشار في الأرض، وانتفاع بضوئها وأشعتها.

وقد قالوا: لو اقتربت درجة أو ارتفعت درجة، لما استطاع أحد أن ينتفع منها بشيء ; لأنها تحرق باقترابها، ويتجمد العالم من بعدها، ذلك تقدير العزيز العليم.[2]

---

[1]- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)الطبعة: الخامسة، 1441 هـ - 2019 م، ج (1) ص (8).

[2]- محمد الامين الشنقيطي: **أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن** دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان (1995/1415) ج (8) ص (536).

6- المثال التطبيقي من سورة الضحى.

قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾

تقدم معنى الضحى في السورة المتقدمة.

وقيل: المراد به هنا النهار كله، كما في قوله: أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون [7 \ 97 - 98]، وقوله: والليل إذا سجى قيل: أقبل، وقيل: شدة ظلامه، وقيل: غطى، وقيل: سكن.

واختار الشيخ - رحمة الله تعالى علينا وعليه - في إملائه معنى: سكن.

قوله تعالى: وللآخرة خير لك من الأولى

«خير» تأتي مصدرا كقوله: «إن ترك خيرا» [2 \ 180] أي: مالا كثيرا، وتأتي أفعل تفضيل محذوفة الهمزة، وهي هنا أفعل تفضيل بدليل ذكر المقابل، وذكر حرف «من» ، مما يدل على أنه سبحانه أعطاه في الدنيا خيرات كثيرة، ولكن ما يكون له في الآخرة فهو خير وأفضل مما أعطاه في الدنيا، ويوهم أن الآخرة خير له (صلى الله عليه وسلم) وحده من الأولى، ولكن جاء النص على أنها خير للأبرار جميعا، وهو قوله تعالى: وما عند الله خير للأبرار .[1]

7- المثال التطبيقي من سورة البينة:

قال الألوسي: وتسمى سورة القيامة، وسورة البلد، وسورة المنفكين، وسورة البرية، وسورة لم يكن.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝٤﴾

ذكر هنا الذين كفروا، ثم جاءت من، وجاء بعدها أهل الكتاب والمشركين، مما يشعر بأن وصف الكفر يشمل كلا من أهل الكتاب والمشركين، كما يشعر مرة أخرى أن المشركين ليسوا من أهل الكتاب لوجود العطف، وأن أهل الكتاب ليسوا من المشركين.

وهذا المبحث معروف عند المتكلمين وعلماء التفسير، واتفقوا على أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وأن المشركين هم عبدة الأوثان، والكفر يجمع القسمين.

[1] - الشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج8ص554.

وأهل الكتاب مختص باليهود والنصارى، ولكن الخلاف: هل الشرك يجمعهما أيضا أم لا؟

فبين الفريقين عموم وخصوص، عموم في الكفر وخصوص في أهل الكتاب لليهود والنصارى، وخصوص في المشركين لعبدة الأوثان.

ولكن جاءت آيات تدل على أن مسمى الشرك يشمل أهل الكتاب أيضا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿30﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿31﴾ ﴾.[1]

8- المثال التطبيقي من سورة الفيل:

قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿3﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿4﴾ ﴾

اختلف في معنى السجيل هنا، فقال قوم: هو السجين، أبدلت النون لاما، والسجين النار. وقيل: إن السجيل من السجل، كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار، كما أن سجينا لديوان أعمالهم واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال، ومنه السجل الدلو المملوء ماء، وهي حجارة مرسلة لقوله: وأرسل عليهم طيرا أبابيل. وقوله: إن سجينا، عن الديوان أعمالهم، يعني قوله تعالى: **(كلا إن كتاب الفجار لفي سجين)** [83 \ 7]. وقيل: معنى سجيل ستك وطين، يعني بعض حجر وبعض طين. وقيل: معناه الشديد. وقيل: السجيل اسم لسماء الدنيا.

وتقدم للشيخ -رحمة الله تعالى- علينا وعليه، ترجيح أنها من طين شديد القوة.

وهذا ما يشهد له القرآن لما في سورة الذاريات:(**قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين)** [51 \ 32 - 34] فنص على أنها من طين.

والحجارة من الطين: هي الآجر وهو الطين المطبوخ حتى يتحجر.

وجاء النص الآخر أنها من سجيل منضود في قوله: **(فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود)** .[2]

---

[1] - المرجع نفسه: ج9 ص39

[2]- الشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المرجع نفسه، ج9 ص103.

المحاضرة الرابعة: الاتجاه العقلي الإصلاحي الاجتماعي

ظهر هذا الاتجاه التفسيري في العصر الحديث على يد الشيخ (محمد عبده) وسميت مدرسته بالمدرسة العقلية التفسيرية، مؤسسا بذلك نهضة دينية أدبية اجتماعية، كان لها الأثر العظيم في الاتجاهات الإصلاحية الحديثة، منها الاتجاه الإصلاحي الذي ظهر في الجزائر على يد العلامة ابن باديس – رحمه الله –، وكان أهم هدف للمدرسة الحديثة هو تجريد التفسير من الخرافات والإسرائليات، والاستطرادات النحوية والبلاغية الكثيرة، والاقتصار على الضروري منها لفهم الآية، حتى لا يضيع معناها في أعطاف تلك المصطلحات الفنية، ولكي يتسنى لكل قارئ أن ينتفع بالتفسير مهما كانت ثقافته. وقد امتازت هذه النهضة بأسلوب أدبي سائغ سهل، يستدعي متابعة القراءة، وينحي عن القارئ الملل، ويعنى بالتوجيه إلى المثل العليا في العقائد والأخلاق والعبادات والنواحي الاجتماعية المختلفة.

المبحث الأول – الاتجاه الإصلاحي في الجزائر:

لقد شهدت البيئة التي عاشت فيها أمتنا تحديات جمة، وكان لها أثرا بالغا على الشعب الجزائري المستعمر، بعدما استهدف الاستعمار طمس هويته وحضارته وكرامته، محاولا القضاء عليها منذ احتلاله، فقد شوه الدين الحنيف ونشر الفساد بكل ما أتيح من إمكانات ووسائل، حتى ظن أن لغة القرآن قد انطفأت في نفوس الأمة الجزائرية إلى أن جاءت فكرة الإصلاح، التي ارتبطت بفكرة بناء الأمة ومحاولة إخراجها من الظلمات والانحرافات التي كانت تعيشها، فالاتجاه الإصلاحي يحمل رسالة إصلاحية وتوجيهات أخلاقية، كما ينادي بضرورة العودة إلى الإسلام، وعليه جاء اهتمامنا بأبرز رواد الحركة الإسلامية الجزائرية، الشيخ عبد الحميد بن باديس– رحمه الله– فقد كانت اسهاماته قوية لبعث الوعي الفكري نحو ارجاع المسلمين لنهج صحيح .

المطلب الأول– تعريف الاتجاه الإصلاحي:

لقد عرفنا من قبل مصطلح الاتجاه، وسنتطرق إلى مصطلح الإصلاح.

الفرع الأول: لغة: يندرج لفظ الإصلاح من الصلاح، والشيء الصالح هو الشيء الخالي من مظاهر السفه والفساد، وصلح الشيء صلاحا أي: كان نافعا ومناسبا، صلح صلاحا: أي زال عنه الفساد، والصلاح هو الاستقامة والسلامة من العيوب.

الفرع الثاني: اصطلاحا: كلمة أصلية تدعو إلى التغيير نحو التقدم مع الحفاظ على الأصالة والجذور" [1].

[1] – **المعجم الوجيز**: مجمع اللغة العربية، طبعة وزارة التربية والتعليم، 1997، ص 368.

المطلب الثاني– ترجمة الشيخ عبد الحميد بن باديس:

هو عبد الحميد بن محمد مكي بن باديس الصنهاجي، وينتهي نسبه إلى المعز بن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى التي خلفت الأغالبة على مملكة القيروان. ولد بمدينة قسنطينة يوم الأربعاء 10 ربيع الثاني 1308هـ الموافق لـ 1889/12/4. والده محمد مصطفى بن مكي بن باديس صاحب مكانة مرموقة وشهرة واسعة، وأمه السيدة زهيرة بنت علي الأكحل بن جلول.

حفظ القرآن الكريم على الشيخ المداسي ولما يبلغ الثالث عشر من عمره، أخذ مبادئ العلوم الشرعية والعربية على الشيخ حمدان الونيسي، سافر إلى جامع الزيتونة بتونس، فتتلمذ على خيرة علمائها كالشيخ محمد النخلي والشيخ طاهر بن عاشور وغيرهما، في عام 1912م، عاد من تونس ليلقي بعض الدروس في (الجامع الكبير) بقسنطينة من كتاب (الشفا) للقاضي عياض – رحمه الله– لكنه سرعان ما منع، وفي عام 1913م، غادر قسنطينة متوجها إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وفي المدينة النبوية التقى بأستاذه حمدان الونيسي، كما تعرّف على الشيخ محمد البشير الابراهيمي، رجع ابن باديس إلى قسنطينة ليباشر التعليم في (الجامع الأخضر) وفيه ختم تفسير القرآن تدريسا في ربع قرن، كما أتم شرح الموطأ تدريسا أيضا.

أصدر بعد تأسيس (المطبعة الجزائرية الإسلامية) عدة جرائد من أشهرها: (المنتقد)– (البصائر)– (الشهاب) – (السنة) – (الشريعة)– (الصراط) لتبليغ الدعوة الإصلاحية، وفي سنة 1931م تم تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فانتخب الشيخ عبد الحميد رئيسا لها، أسس بمؤازرة إخوانه المصلحين المساجد والمدارس الحرة والنوادي العلمية في شتى أنحاء القطر الجزائري. وقد عرف فضله وأثنا عليه الكثير من أهل العلم قال عنه الشيخ الميلي: (الأستاذ العظيم والمرشد الحكيم، عدّتنا العلمية وعمدتنا الإصلاحية).

وقال عنه الشيخ الطيب العقبي (المصلح الفذ، والعلامة الذي ما أنجبت الجزائر منذ أحقاب– مثله– إلا قليلا) [1].

وقال عنه رفيق دربه الشيخ البشير الإبراهيمي: (باني النهضتين العلمية والفكرية بالجزائر، وواضع أسسها على صخرة الحق وقائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا، ومنشيء مجلة (الشهاب) مرآة الإصلاح وسيف المصلحين، ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدي المحمدي وعلى التفكير الصحيح، ومفسر كلام الله في مجالس انتظمت ربع قرن، وغارس بذور الوطنية الصحيحة، وملقن مباديها، عالم البيان وفارس المنابر).

[1] – ينظر: ابن باديس: **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، ط1: 1430هـ/2009م، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، مج 1/ من ص 35 إلى 37 (بتصرف).

ومن أهم آثاره: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير- القصص الهادف- رجال السلف ونساؤه- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والسنة النبوية كما جمعت مقالاته في (الشهاب) و(البصائر).

توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس – رحمه الله- بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال، مساء يوم الثلاثاء 8 ربيع الأول سنة 1359هـ الموافق لـ 1940/04/16م، ودفن في روضة أسرته بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة [1].

المطلب الثالث- التعريف بتفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس:

يقول الشيخ البشير الابراهيمي، وهو أدرى برفيق دربه وصاحبه في النضال: "لم يكتب الأخ الصديق في أقواله في التفسير، ولم يكتب تلامذته الكثيرون شيئا منها، وضاع على الأمة كنز علم لا يقوم بمال، ولا يعوض بحال. ومات فمات علم التفسير وماتت طرقة (ابن باديس) في التفسير، ولكن الله تعالى أبى إلا أن يذيع فضله وعلمه، فألهمه كتابة مجالس معدودة من تلك الدروس، وكان ينشرها فواتح لأعداد مجلة (الشهاب) ويسميها (مجالس التذكير) وهي نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له، كما أنها نموذج من أسلوبه الكتابي" [2].

واعتمد الشيخ في تفسيره على مصادر متعددة من بينها: تفسير الطبري الذي يمتاز بالأقوال النقلية وبأسلوبه البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وبترجيحاته أولى الأقوال عنده بالصواب.

والزمخشري الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني، وتطبيقه فنون البلاغة على الآيات، والتنظير لها بكلام العرب واستعمالها في أفانين الكلام.

وتفسير أبو حيان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيهه للقراءات القرآنية.

تفسير الرازي الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، وفي العلوم الكلامية.

كما اعتمد غيرها من كتب التفسير والحديث والأحكام، وذلك حسبما يقتضيه المقام.

وتظهر القيمة العلمية لهذا التفسير كونه يهدف إلى إيجاد حلول واقعية ناجعة وطرق منهجية تهتم بإصلاح الفرد والمجتمع ليصلح حال المسلمين ويوثق الرابطة بينهم وبين كتاب ربهم المجيد.

---

[1] – ينظر: ابن باديس: **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، المرجع السابق، من ص 38- 40، بتصرف.

[2] – ينظر: **مجالس التذكير**، علق عليه وخرّج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، ط1: 1416هـ/1995م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص 21.

ومن أهم ملامح تفسيره:

-أنه لا يتعرض لأسماء السور ولا عد الآي ولا للمكي والمدني لطبيعة ظروف التفسير.

-يهتم بعلم المناسبات

- اهتم بالجانب العقدي كذكره أنواع التوحيد وكلامه عن السحر والبدع والكفر والرياء والدعاء والغيبيات وغيرها

- تكلم عن البدع منكرا لها، معددا صنوفها، مبينا حكمها رادا على الانحرافات الواقعة في المجتمع في زمانه.

- يرفض تفسير الصوفية التي ليس لها معاني صحيحة في نفسها، ولم تؤخذ من التركيب القرآني أخذا عربيا صحيحا، وليس لها ما يشهد من أدلة الشرع.

- يفسر القرآن بالقرآن

- يفسر القرآن بالسنة الصحيحة، حيث يعزو الأحاديث ويخرجها غالبا.

- يتعرض لأسباب النزول

- يذكر أحيانا تفاسير السلف وهذا لطبيعة تفسيره

- يتطرق أحيانا لبعض حوادث السيرة والتاريخ

- يحذر من الإسرائيليات

- يهتم المؤلف بشرح المفردات كوسيلة مباشرة لتوضيح المعنى لسامعيه.

- يستدل أحيانا بالشعر

- يتعرض أحيانا للإعراب بما يقتضيه الحال، والنكات البلاغية

- يتكلم أحيانا عن إعجاز القرآن

- يتعرض — نادرا- للقراءات القرآنية

- يتعرض أحيانا للمسائل الفقهية، ويجتهد في ذلك وربما انفرد بآراء جديدة لم يسبق لها.

- يتكلم أحيانا عن القضايا الكونية ككروية الأرض والكلام على القمر.

- يتعرض للأصول أثناء التفسير.

– اهتم المؤلف بجانب الاجتماعيات والآداب اهتماما كبيرا مع شيء من الوعظ والإرشاد.

المبحث الثاني– نموذج تطبيقي عن الاتجاه الإصلاحي في مجالس التذكير:

ذكر الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿62﴾ ﴾ (**الفرقان: 62**) : "لما كان جعل الليل والنهار خلفة لأجل التذكر والعمل، كان كل واحد منهما صالحا للعمل الذي يعمله فيه صاحبه، فمن فاته عمل بالليل أتى به في النهار، ومن فاته عمل بالنهار أتى به في الليل، وهذا ان كان من العبادات فهو على سبيل التدارك، و إذا كان من العبادات فهو على سبيل القضاء، ومما استدل به: " ما رواه مسلم، قال: رسول الله – عليه الصلاة والسلام– : من نام عن حزبه أو عن أي شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل" [1] .

وفي كثير من المواضع نجده – رحمه الله – يسعى إلى محاربة البدع والخرافات انطلاقا من فكره التنويري والإصلاحي، وتخليص الناس من الأوهام التي طغت عليهم جراء ابتعادهم عن كتاب الله وكتابه، فحذر من البدع والمحدثات والزيادة في الشرع، وعند حديثه عن الدعاء نبّه إلى ضرورة توجه الداعي في دعائه لله وحده دون سواه من الخلق، يقول: " والداعي لغير الله تعالى يطلب منه قضاء حاجته، فقد عبد من دعاه، لأن الله قد سماه عبادة " وأنكر صنيع المسلمين من التوجه إلى الأضرحة والذبح عندها، معتقدين قدرتها على جلب النفع والرزق وإنزال الغيث، ويتأسف على حال أمتنا وما وصلت له من ضلال وانحراف.

وختاما إن أهم السمات التي تميز بها تفسير ابن باديس (مجالس التذكير) هو اتجاهه الإصلاحي التنويري، معتبرا القرآن أصلا لكل صلاح ومنطلقا لكل ما فيه الخير للأفراد والجماعات، معتمدا على طرق إصلاحية متعددة منها: إعطاء الحلول وسبل النجاة، الترغيب والترهيب، تبشير المسلمين، التحذير من الفهم الخاطئ وتنزيل الآيات على الواقع المعيش، وكذا محاربة الخرافات والبدع، وبهذا يظهر دور هذا الاتجاه التفسيري في اصلاح حال المسلمين للفوز في الدارين.

[1] – **مجالس التذكير**: المرجع السابق، ص 273.

المحاضرة الخامسة: الاتجاه المقاصدي الهدائي

المطلب الأول – تعريف المقاصد:

1– لغة: القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأمه، والآخر على اكتناز في الشيء.

فالأصل: قصدته قصدا ومقصدا. ومن الباب: أقصده السهم، إذا أصابه فقتل مكانه، وكأنه قيل ذلك لأنه لم يحد عنه. قال الأعشى:

فأقصدها [سهمي] وقد كان قبلها ... لأمثالها من نسوة الحي قانصا[1].

2– اصطلاحا–تعريف التفسير المقاصدي:

هو إعمال المقاصد في فهم النصوص الشرعية وتوجيهها وإظهار الحكم والأسرار والمقاصد التي جاء بها القرآن الكريم.

المطلب الثاني– نشأة التفسير المقاصدي:

نشأة التفسير المقاصدي تعود إلى تفسير الصحابة –رضوان الله عليهم– وتطبيقهم العلمي لمقتضى المقاصد في التفسير، ويدل على ذلك ما قام به أبو بكر –رضي الله عنه– في جمع المصحف لمقصد حفظ القرآن.

وتطور هذا النوع مرتبط بتطور التفسير في حد ذاته، وظهور المدارس الأربعة؛ والتي مثلت منعطفا للتفسير بالرأي وتطوره، وكذا ساهمت النهضة العلمية في تأسيس منطلق من المنطلقات في التجديد في التفسير المقاصدي، وظهر ذلك جليا في تفسير المنار، واهتم ابن عاشور كذلك بهذا النوع من التفسير [2].

المطلب الثالث–أنواع التفسير المقاصدي:

1–التفسير المقاصدي العام: هو لون من ألوان التفسير يبحث في الكشف عن المعاني والغايات التي يدور حولها القرآن الكريم ،كليا أو جزئيا؛ مع بيان كيفية الإفادة منها مع تحقيق مصلحة العباد.[3]

---

[1] –أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ط (2): (1389 - 1392 هـ) (1969 – 1972)، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ج (5) ص (95).

[2]– رضوان جمال الأطرش ونشوان عبده خالد قائد: **الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم**، مجلة الاسلام في آسيا العدد 1 مارس 2011 ص (211 /215).

[3]– وصفي عاشور ابو زيد: **التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم –في ظلال القرآن أنموذجا** –كلية دار العلوم– جامعة القاهرة 2013 ص 7.

2– التفسير المقاصدي الخاص: هو الذي يبحث عن المقاصد الخاصة بمجال من المجالات أو مقاصد خاصة بسورة معينة من سور القرآن، وهي التي تحدث عنها كالتوحيد والعبادة.

3–المقاصد الجزئية والتفصيلية للقرآن الكريم: هذا النوع يهتم بالآيات القرآنية كل على حدة ،ويحتاج المفسر إلى التعمق في اللغة العربية والنحو والأدب وطرائق استعمال العرب لها.[1]

4–مقاصد الكلمات والحروف القرآنية: هذا النوع يهتم بالكلمات والألفاظ القرآنية؛ التي يتناسب إيقاعها ودلالتها مع المقصد العام الذي يساق الكلام لأجله [2].

المطلب الرابع–أهمية التفسير المقاصدي:

–بيان القرآن للمقاصد الشرعية

–طرق التعليل للقرآن الكريم: كثير من الأحكام جاء بها القرآن قرنت بعللها، إما أن يذكر سببا صريحا أو وصفا مرتبا عليه حكم [3].

المطلب الخامس– نموذج من تفسير الطنطاوي:

هو من أشهر المفسرين في العصر الحديث لمعاني القرآن الكريم، وما ميز تفسيره اشتماله على توظيف المقاصد في توجيه المعاني وبيان الأبعاد والغايات. فمثلا في سورة الأعراف، اهتم بذكر مقصد السورة العام.

قال: وقد اشتملت سورة الأعراف على المقاصد الإجمالية التي اشتملت عليها السور المكية، كإقامة الأدلة على وحدانية الله، وعلى صدق رسوله محمد– صلى الله عليه وسلم– وعلى أن يوم القيامة حق.. إلخ.

والذي يتأمل هذه السورة الكريمة يراها تهتم بعرض الحقائق في أسلوبين بارزين فيها، أحدهما أسلوب التذكير بالنعم، والآخر أسلوب التخويف من العذاب والنقم.[4]

---

[1]– وصفي عاشور ابو زيد: **نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم– رؤية تأسيسية لمنهج جديد في تفسير القرآن**، دار مفكرون الدولية للنشر والتوزيع ط 1: 1440/ 2019، ص 21 38.

[2]– نجيبة عابد ونائل البركات: **معالم التفسير المقاصدي عند الإمام ابن عطية الأندلسي من خلال تفسيره المحرر الوجيز**، مجلة الشهاب مجلد 8، عدد 3: 2022 م، ص 129.

[3]– زهير هاشم: **التفسير المقاصدي عند ابن العربي في تفسيره أحكام القرآن**، اشراف شحادة العمري 1432/ 2011م، ص 69.

[4]– محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة– مصر، ط (1): 1997 - 1998 م، ج (05) ص (237).

المحاضرة السادسة: الاتجاه البلاغي المعاصر

المبحث الأول: التفاسير اللغوية – دراسة تأصيلية–:

إنّ التعريف بمفهوم أي مصطلح علمي مهم جدا، وبالتحديد المصطلحات المتعلقة بالدراسات القرآنية، وذلك لبيان معناه ودلالته، ليعرف كيف وما هو استعماله والقصد منه عند إطلاقه، ومدى استيعابه للمضمون الذي اختص به، ولكل مصطلح مدلول لغوي ومدلول اصطلاحي، وقد يضاف له مفهوم عرفي يشاع استعماله له، لذلك من المهم تأصيل المفاهيم وتمييز المصطلحات عن بعضها خاصة تلك المتشابهة منها، وهذا ما سنبينه في هذه المحاضرة.

المطلب الأوّل: تعريف التفسير اللغوي والأدبي والبلاغي

لا شك أنّ دراسة دلالة المصطلحات المجردة، تختلف عن دراسة معانيها؛ إذا كانت مصطلحات علمية تشير لعلوم معينة أو مناهج قائمة بذاتها، وسندرك هذا الفرق الجوهري من خلال العرض التالي:

الفرع الأول: تعريف التفسير اللغوي: بما أنّ مصطلح التفسير قد ورد تعريفه سابقا، وبما أنّ المصطلح مركب سيكون تعريفه كالآتي:

أولا– لغة: اللغة فُعلة من لغوت، أي تكلمت وأصلها لغوة، وقيل: لغي أو لغو على وزن فعل والهاء عوض وجمعها لغيّ ولغات ولغون، واللغة: اللسن والنطق، يقال: هذه لغتهم التي يلغون بها، أي: ينطقون [1].

ثانيا– اصطلاحا: للغة تعريفات متعدّدة، ومن ذلك تعريف ابن جني: " هي أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"[2].

وعليه فالتفسير اللغوي كما عرّفه الدكتور مساعد الطيار هو: " بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب "[3].

والمراد بما ورد في لغة العرب: ألفاظها وأساليبها التي نزل بها القرآن، وقد أشار إلى هذا الشاطبي، فقال: فإن قلنا إنّ القرآن نزل بلسان العرب وإنّه عربي، وأنَّه لا عجمة فيه، فيعني أنّه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنّها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجه والخاص في وجه، وبالعام يراد به الخاص، وظاهر ويراد به غير الظاهر، وكل ذلك يعرف من أوّل الكلام أو وسطه أو آخره [4].

---

[1] – ابن منظور: **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة – مصر، (د ت ط) ص 4050.

[2]– ابن جني: **الخصائص**، (ج1، ص 34).

[3] – مساعد بن سليمان الطيار: **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، المرجع السابق، ص 38.

[4] – الشاطبي: **الموافقات**، المصدر السابق (ج2، ص 45-46).

لاشك أنّ تعريف الأستاذ مساعد الطيار الذي استخلص زبدته من كلام الشاطبي قبله، يقصد به فهم المعاني واستخراج الأحكام من الآيات القرآنية؛ باستخدام كل مستويات اللغة؛ بدءًا بالمستوى الصوتي ثم الصرفي ثم التركيبي النحوي والبلاغي وصولا إلى الدلالي الشمولي، وهذا ما يسمى منطقا بالتفسير اللغوي، لكننا رغم ذلك نجد خلطا واضحا وتذبذبا ظاهرا في استخدام المصطلح من طرف الباحثين على مرّ العصور، فهناك من يطلق هذا الاتجاه من التفسير على الشرح اللغوي للمفردة القرآنية، ويظهر هذا الخلط جليا في كتاب (خطوات التفسير البياني).

وقد تابعه الكثير من الباحثين فيما بعد[1]، فعند تتبّعه لنشأة التفسير البياني يتعرض للتفسير اللغوي، وتارة يطلق عليه التفسير الأدبي، وهكذا يظهر المصطلح عنده بعدّة مسميات. وقد ذكر أنّ أول من استن ذلك هو الفاروق ثم اشتهر على يد حبر الأمة في قصته مع مسائل نافع بن الأزرق، والقصة كما نعلم هي شرح لمفردات قرآنية بواسطة شواهد عربية، وقد شكّك بعض الباحثين في تلك الحادثة، لكن بنت الشاطئ تكفّلت بالبحث عنها، وحقّقت المسألة وأوردتها في كتابها (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق) وإن سلكنا مسلك الاحتياط في المسألة بما يوجبه العقل الناقد، لقلنا أنّ هذا الاحتياط لا يمنع من التسليم بجوهر المسألة.

لقد وضع سيدنا عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما- اللبنة الأولى في صرح التفسير اللغوي، واشتهرت مدرسته بذلك وتابعه تلامذته وساروا على دربه كمجاهد وعكرمة وطاووس وابن جبير، وشارك في حفظ هذا التراث كل من علماء اللغة، فقد وجد مبثوثا بين كتبهم القيمة، مثل مصنفات معاني القرآن وغريب القرآن ومعاجم اللغة، وتوالت التفاسير عبر أحقاب زمنية طوال، تعتمد أولا على التفسير اللغوي كأول خطوة في شرح المفردات واستخراج المعاني؛ وهذا ما كان يُقصد به حينما يُطلق مصطلح التفسير اللغوي، ثم إنّ استخدام كل علوم اللغة في استنباط الدلالات؛ التي تحتملها الألفاظ في مختلف السياقات، شكّل علما قائما بذاته، واستوى هذا الاتجاه التفسيري على سوقه -في العصر الحديث- وظهر كمصطلح مستقل يدل على نوع من التفسير، يعتمد أساسا على استخدام كل مستويات اللغة وعلومها الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية الدلالية في الكشف عن المعاني القرآنية لمحاولة فهم الآيات الربانية.

وممّا لاشك فيه أنّ تعدّد مدلولات لفظ من ألفاظ القرآن في لغة العرب، كان سببا في اختلاف المفسِّرين، فمنهم من اجتهد رأيه واعتمد معنى، ويختار الآخر معنى مغايرا، وكلاهما معتمده الأول ورود هذا المعنى في لغة العرب، ثم صحّة حمل هذا اللفظ على الآية، وفي المقابل هناك من حمّل اللغة فوق ما تحتمل، وجعلها فاكهة طازجة لتأويلاته الخارجة عن حدود العقل والمنطق، لكن تبقى اللغة بقواعدها المتينة وألفاظها الدقيقة سدا منيعا؛ لمن أراد أن يفسّر كلام الله بما لا يعرف معناه إلا خواص من النّاس، كما يزعم كثير من غلاة الصوفية والفلاسفة وغيرهم، فمن أورد معنى لا تعرفه العرب كان ذلك مما

[1]- فمثلا نجد الدكتور البيومي في سياق حديثه عن أبي عبيدة معمر بن المثنى يقول: (ومنه نعلم أنّه كان خطوة تالية لخطوة ابن عباس في التفسير الأدبي) ص 62، ثم نجد الدكتور خالد العزاوي في كتابه (المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث) يعيد الخطأ قائلا:(إنّ مجاز أبي عبيدة كان خطوة تالية لتفسير ابن عباس في تفسيره الأدبي) ص 42، وحقيقة الأمر هو تفسير لغوي وليس أدبي، وكذلك وجدنا جل الدراسات الخاصة بهذا المنهج لا تفرّق بين المصطلحات.

يدل على بطلانه، إذ المعاني محدودة محصورة ومدونة مشهورة لا يمكن أن يزاد فيها ما ليس منها، إذ تعدّد المعاني اللغوية بحد ذاته يعود لأصل الوضع اللغوي، وهو اختلاف محدود ومبيّن يرجع لتعدّد اللهجات من جهة، وغناء اللغة بمفرداتها من جهة أخرى، وما زيد عليه من غلو في الفهم هو تنطع لا يجيزه منطق اللغة من الأساس.

ثم إنّ المفردة تحتمل من المعاني ما تحتمل، والسياق هو الذي يحدد المعنى، وقد استخدم المفسرون كل مستويات اللغة وعلومها في تفسير الآيات القرآنية، وذلك في محاولة فهم القرآن وإثبات إعجازه على مرّ الأزمان.

وخلاصة الأمر يمكننا القول أنّ مدلولات الألفاظ على تنوعها وتعدّدها؛ إلا أنّها متفق عليها في أصل الوضع اللغوي، وهي تعتبر من الثابت في علم التفسير، وهو جزء يتعلق بالشرح الاصطلاحي للمفردات القرآنية، ويسمى هذا أيضا بأسلوب (التفسير اللفظي)، أما المعاني التي تستخرج من المفردات على اختلاف سياقها وباستعمال مستويات اللغة تعدّ من قبيل المتغيّر في علم التفسير اللغوي، لأنّ هذا يرجع للمعاني الجديدة التي يفتح الله بها على المفسِّر حينما يسير على قواعد التفسير بطريقة صحيحة.

ومن هذا المنطلق فإنّنا نفرّق بين الاستعمالين، بجعل مصطلح التفسير اللفظي؛ يقصد به شرح المفردات القرآنية بما جاء في لغة العرب، وجعل مصطلح التفسير اللغوي؛ خاصا بالتفسير الذي يستند على مستويات اللغة لاستخلاص المعاني القرآنية.

الفرع الثاني: تعريف التفسير البلاغي: بما أنّ المصطلح مركب أيضا وقد جاء تعريفنا للتفسير سابقا، سنكتفي هنا بإيراد مفهوم البلاغة، ثم ننظر في علاقة مصطلح البلاغة بالتفسير وكيف أصبح بعدها مصطلحا قائما بذاته.

أولا– لغة: تعني الوصول والانتهاء، يقال بلغ الشخص بلاغة إذا وصل بكلامه إلى ما يريده له من إمتاع وإقناع، جاء في لسان العرب:" بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا، أي؛ وصل وانتهى، تبلغ بالشيء وصل إلى مراده، البلاغ ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب، البلاغ ما بلغك، والإبلاغ: الإيصال، تقول بلغت المكان بلوغا: وصلت إليه وكذا إذ شارفت عليه" [1].

وقال أيضا:" البلاغة: الفصاحة، والبَلْغُ والبِلْغُ: البليغ من الرجال، ورجل بليغٌ وبَلْغٌ وبِلْغٌ: حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمع بلغاء، وقد بَلُغَ بلاغة: صار بليغا" [2].

نلاحظ من خلال ما سبق، أنّ البلاغة والفصاحة تطلق على معنى واحد في الأصل اللغوي، ولعل هذا الاتصال الشديد هو الذي جعل القدامى يستعملونهما بمعنى واحد، فقد بقيت الكلمتان مترادفتان حتى القرن الرابع.

---

[1] – ابن منظور: **لسان العرب**، المصدر السابق، (ج 1، ص 468).

[2] – المصدر نفسه، ص 469.

ثانيا: اصطلاحا: نالت البلاغة حظا وافرا من التعريفات الاصطلاحية، وذلك لأنّ العرب احتفت بها وأولتها عناية كبيرة، فتعدّدت التعريفات بناءً على تعدّد مناهج العلماء وتباين تخصصاتهم اللغوية والنقدية أو الفكرية، ومن أمثلة هذه التعريفات:

سئل العتابي: ما البلاغة؟ فقال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ [1].

وقال أبو هلال العسكري:" سميت البلاغة بلاغة، لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه" [2].

ونقل ابن رشيق القيرواني تعريفات منها: " البلاغة لمحة دالة، وقال صاحب معجم (العين): البلاغة كلمة تكشف عن البقية، وقال آخر: قلت لأعرابي ما البلاغة عندكم، فقال الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل" [3].

وتحدّث الجاحظ عن البلاغة كثيرا، ولعله اختار هذا التعريف: "لا يكون الكلام بمستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك "[4].

نلاحظ أنّ جل التعريفات كانت واصفة للقول ولم تكن معرِّفة بحدّ هذا العلم، كما أنّ مصطلح البلاغة تقاطع مع مصطلح البيان في المفهوم، وما زالت المسألة الدلالية بينهما مثار جدل ونقاش حاد بين أرباب اللغة، فكل فريق يرى بشمولية مصطلح على الآخر، فالجاحظ يرى بشمولية البلاغة وتابعه بعض من المعاصرين [5].

أما صاحب كتاب (البيان العربي) [6]يرى خلاف ذلك، ولعلنا نميل إلى هذا الرأي، فمن وجهة نظرنا غاية البيان هو التبليغ والإبلاغ وفي هذا يشتركان بعلاقة الكل والجزء، فالبيان يشمل البلاغة ويحتويها.

أما البلاغة عند السكاكي فهي:" بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّا له اختصاص بتوفية خواص التركيب حقّها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها "[7].

---

[1] – الجاحظ: **البيان والتبيين**، ج1، ص 113.

[2]– أبو هلال العسكري: **الصناعتين**، ص 6.

[3] – ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تح: توفيق النيفر، مختار العبيدي، جمال حمادة، ط 1: 2009م، بيت الحكمة، قسنطينة– الجزائر، ج1، ص 386.

[4] – الجاحظ: **البيان والتبيين**،المصدر السابق ، ج1، ص 115.

[5] – منهم تمام حسان.

[6]– بدوي طبانة.

[7] – السكاكي: **مفتاح العلوم**، المصدر السابق، ص 227.

وخلاصة القول فقد تعدّدت التعريفات الاصطلاحية للبلاغة، إلا أنّها جميعا تتفق في كون البلاغة تهدف إلى إيصال كلام يفيد معاني؛ بطريقة واضحة وسليمة، مع خلّوه من التكلف والفضول، ومراعاته لمقتضى الحال، وأن يختار اللفظ الكريم للمعنى الشريف، فلا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك.

ثم إنّ مصطلح التفسير البلاغي لم يُعرف له مفهوم اصطلاحي لحدّ اليوم، إنّما شاع على ألسنة الباحثين حديثا دون قيود، ونجده متداولا كعنوان بارز في بعض الرسائل العلمية [1] ويقصدون التفسير الذي يعتمد بالدرجة الأولى على أغراض البلاغة واستخراج مختلف التشبيهات والصور البيانية والمعاني والأساليب وعلاقتها بالإعجاز القرآني، ولا يزال المصطلح لا يعرف تأصيلا علميا، إنّما جاء إطلاقه على تفاسير معينة عند دراسة مناهجها، ككتاب الزمخشري الذي يعدّ تطبيقات لدرس البلاغة، وغيره من التفاسير؛ التي استعانت بالبلاغة كثيرا وأولتها عناية هامة؛ بل جعلت هذا العلم مرتبطا بالتفسير ارتباطا وثيقا، جاء في هذا الباب قول أبي هلال العسكري: " إنّ أحقّ العلوم بالتعلِّم وأولاها بالحفظ، بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله " [2].

ومن هذا المنطلق نحاول إيجاد تعريف **للتفسير البلاغي** بكل اختصار، فنقول: هو الاستعانة بفنون البلاغة لاستخراج ما في الآيات؛ من روعة الأسلوب وبديع النظم وقوة البيان، للتدليل على الإعجاز القرآني.

أو هو اتجاه تفسيري حديث يركز على إبراز الإعجاز البياني والجمالي للقرآن الكريم، بتحليل أساليبه اللغوية، ونظمه وصوره البلاغية بأسلوب ميسر يناسب العصر، حيث يسعى لتقريب المعاني الدقيقة وتبسيطها معتمدا على التراث البلاغي وتطويره من أجل خدمة النص القرآني.

وأهم رواده في العصر الحديث والمعاصر: بنت الشاطئ التي كانت رائدة في هذا المجال، والشعراوي الذي تميز بأسلوبه البياني في خواطره التفسيرية، والسامرائي في مؤلفاته القيمة ولمساته البيانية، ومحمد صافي المستغانمي من خلال موسوعة التفسير البلاغي، وعبد العظيم إبراهيم المطعني في كتابه التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم.

أبرز ملامح ومناهج التفسير البلاغي المعاصر:

-التركيز على الإعجاز البياني من خلال إبراز روعة البيان الإلهي وعمق تأثيره في النفوس والعقول

- تحليل النظم والأسلوب والتركيز على الأغراض البلاغية

---

[1] – مثلا رسالة علمية معنونة بـ (التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: الهمزة المجردة مع الفعل الماضي)، عبد العظيم إبراهيم المطعني، ينظر: الحسين زروق: **جهود الأمة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم**، ط1: 1434هـ/2013م، دار السلام، الإسكندرية– مصر، ص 213 (مكتبة الإعجاز البياني للقرآن الكريم).

[2] – العسكري: **الصناعتين**، ص 03.

– ربط البلاغة بالسياق من خلال تحليل سياق الآيات القرآنية وربطها بالمقاصد مع جماليات اللغة.

الفرع الثالث: تعريف التفسير الأدبي: بما أنّ المصطلح مرّكب أيضا سنعرّفه كما يلي:

أولا– لغة: لم تتضمن كتب اللغة العربية على تعريف واضح لكلمة الأدب "نظرا إلى تطوّر مفهومها والغاية التي استعملت من أجلها عبر العصور"[1]، وما يزيد الأمر إشكالا هو مصطلح الأدب بحدّ ذاته، إذ له دلالات واسعة، وقد عُرف عند الجاهليين إطلاقه على المأدبة؛ أي: الطعام، وفي العصر الإسلامي ورد عن النبيّ ﷺ قوله: (أدّبني ربي فأحسن تأديبي) [2]، أما العصر الأموي فقد أصبح لفظ المؤدّب يطلق على جماعة المربين لأبناء الخلفاء والأمراء، وفي العصر العباسي نجد الكلمة أصبحت تستعمل في مجالات شتى، وأضحى المراد منها معرفة وإتقان القوانين الضرورية لكل نوع من المعارف، فهناك أدب الكاتب ويعني الإلمام بكل ما لا غنى عنه لكل كاتب من العلوم اللغوية، وقد ألّفت فيه المصنفات مثل كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لضياء الدّين ابن الأثير.

ومن بين معانيه في معجم لسان العرب: " أصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس: مدعاة ومأدبة، والأدب: الظرف وحسن التناول، وأدُب بالضم، فهو أديب، من قوم أدباء، والأدب: العجب" [3] .

ثانيا– اصطلاحا: فقد عرّفه صاحب (المقدمة)، بقوله: "هذا العلم لا موضوع له، ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنّما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم "[4].

ويعرَّف الأدب حديثا بأنّه: "علم يحترز به عن الخلل في الكلام، ومنه يعرف التفاهم عمّا في الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة، وموضوعه اللفظ من جهة دلالته على المعاني، ومنفعته على إظهار ما في نفس الإنسان من المقاصد وإيصاله إلى شخص آخر من النوع الإنساني، حاضرا أو غائبا، وهو حلية اللسان والبنان، وأوّل أدوات الكمال، وبه يتميّز ظاهر الإنسان على سائر أنواع الحيوان، وينقسم إلى أصول الشعر والنثر، وفروع؛ بعضها خاص بالمفردات هي علوم اللغة والصرف وبعضها خاص بالمركبات، وهي علوم المعاني والبيان والعروض والنحو والقصة والرواية والمسرحية والخطابة والمقال "[5].

أما بالنسبة للتفسير الأدبي فلا يوجد تعريف دقيق لهذا المصطلح، يحدّد ماهيته أو يبلور أساسياته وأهدافه، إنّما جرت العادة أن يذكره الباحثون في منهج الشيخ محمد عبده، مقرونا بالتفسير الاجتماعي، أو مقرونا بالتفسير البياني دون تمييز

---

[1] – سليمان معوض: **مدخل إلى الأدب العربي**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان: 2008، ص 7.

[2]– أورده الشوكاني في (الفوائد **المجموعة في الأحاديث الموضوعة**) تح: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، ط1: 1416هـ/1995م، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، وهو حديث ليس له إسناد ثابت، باب (فضائل النبي ﷺ) رقم الحديث: 25، ص 327.

[3]– ابن منظور: **لسان العرب**، المصدر السابق، ج1، ص 80–81.

[4] – ابن خلدون: **المقدمة**، تح: عبد محمد الدرويش، ط1: 2004، ج2، ص 376.

[5] – عبد المنعم الحفني: **المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية**، مكتبة مدبولي ط3: 2000، القاهرة– مصر، ص 36.

بينهما، وهو إطلاق عشوائي لا دليل على صحته العلمية، والراجح أنّ أول من ذكره على حسب ما توصلت إليه من بحث وتنقيب؛ هو الشيخ أمين الخولي في كتابه (مناهج تجديد في البلاغة والنحو والتفسير والأدب) وبالرغم من أنّه لم يجعل له تعريفا محدّدا، إلا أنّه أصّله وجعله منهجا قائما بذاته، قال بهذا الصدد: " إنّ التفسير اليوم – فيما أفهمه- هو الدراسة الأدبية الصحيحة المنهج، الكاملة المناحي، المتّسقة التوزيع، والمقصد الأول للتفسير اليوم؛ أدبي محض صرف، غير متأثر بأيّ اعتبار وراء ذلك، وعليه يتوقف كل غرض آخر يقصد إليه"[1]. كما أنّه لابد من الوفاء بهذا الغرض، إذ القرآن كما يقول أمين الخولي: "كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم فهو الكتاب الذي خلّد العربية، وحمى كيانها، وخلد معها، فصار فخرها وزينة تراثها، وتلك صفة للقرآن يعرفها العربي مهما يختلف به الدّين، أو يفترق به الهوى ما دام شاعرا بعربيته"[2] .

وقد وقفت على مقال بعنوان (التفسير الأدبي للقرآن الكريم ومعالمه) [3] حيث أورد فيه صاحبه تعريفا للتفسير الأدبي منسوبا لصاحب كتاب (التفسير والمفسرون) وقد جاء فيه: "هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولا وقبل كل شيء، على إظهار مواضع الدّقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيّق أخاذ "[4].

لكن صاحب الكتاب جعل هذا التعريف مخصوصا باللون الأدبي الاجتماعي للتفسير في العصر الحديث، مضيفا ما بتره الباحث من جملة التعريف وهي (... ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيّق أخاذ، ثم يطبّق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع ونظم العمران).

ولا شك أنّ هذا ذكاء من الباحث في إيجاد مفهوم له من خلال هذا التعريف، لكن التبس عليه الأمر وجعلهما في مصاف واحد، ولم يتكبد العناء في التمييز بين المصطلحين، وغاب عليه أنّ صاحب القول كان يعرّف في لون تفسيري نُسب للشيخ محمد عبده وتلاميذه، كما أنّ صاحب الكتاب، لم يعرّج لا من قريب ولا من بعيد إلى أمين الخولي، فهو من دون شك قد سمع به أو رأى مؤلفاته، فهو أسبق منه زمنيا. والعجيب أنّ المؤلف عرّج على أمين الخولي في كتابه؛ عندما تحدّث عن العلماء الذين وقفوا موقف الرفض من التفسير العلمي الحديث، ولم يعرّج عليه حينما تحدّث عن اللون الأدبي فيما يليها من صفحات، وبالتالي فإنّ عدم ذكره يدل على أنّه يقصد مدرسة الشيخ محمد عبده دون سواها، وعلى هذا الأساس لا يمكن نقل مفهوم المصطلح الذي جعله مخصوصا بتلك المدرسة إلى مصطلح آخر يشابهه هدفا لكنه بعده ظهورا، فالمنهجان مختلفان غرضا وغاية وأسلوبا.

---

[1] – أمين الخولي: **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، ص 231.

[2]– المرجع السابق، ص 229-230.

[3] – ينظر: بلحسن زين العابدين: (التفسير الأدبي للقرآن الكريم ومعالمه)، ملتقى أهل التفسير: http ://vb.tafsir.net. tafsir35881 ، 2020/1/04م، 19:09.

[1]– الذهبي: **التفسير والمفسرون**،ج 2، ص 401.

ومن الغريب أنّ جلّ الباحثين[1] ينسبون المنهج الأدبي لمدرسة محمد عبده، و لا ننكر أنّ أمين الخولي قد تأثر بالإمام، وهناك شواهد كثيرة تثبت ذلك من خلال كلامه، لكنّه قد أعلن صراحة بأنّ منهجه يختلف عنه في الغاية والمقصد، يقول أمين الخولي: وقد سمعنا الأستاذ – رحمه الله- ينقد المفسرين فيما آثروا من أغراض، ويرى أنّ الغرض الأول والأهم في التفسير، أن يكون محققا لهداية القرآن ورحمته، فالمقصد الحقيقي عنده هو الاهتداء بالقرآن، وهو مقصد جليل ولا شك، لكن ليس بدعا من الرأي أن يكون قبل ذلك مقصدا أسبق وغرضا أبعد تنشعب عنه الأغراض المختلفة، وتقوم عليه المقاصد المتعدّدة، ولا بد من الوفاء به قبل تحقيق أي مقصد، وهو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم .[2]

وبهذا يكون الخولي قد حسم القول في هذه المسألة، ومحمد عبده بحد ذاته قد أعرب عن مقصده في تفسيره، منكرا على المفسرين الأوائل اهتمامهم بجانب؛ على حساب الالتفات للهدف الأسمى للقرآن وهو كونه كتاب الهداية، فهو لم يركّز على الجانب الأدبي بتاتا ولا أدري المعايير التي اعتمدها صاحب كتاب (التفسير والمفسرون) في تصنيفه، إذ جعله ينتمي للون الأدبي رغم أنّ تفسيره إرشادي إصلاحي ليس له علاقة بالأدب مطلقا، سوى مواضع معدودة تنتمي لعلوم اللغة. كما أنّ صاحب المنار رشيد رضا أعلن صراحة اختصاره لمسائل اللغة، إلا ما يتوقف عليه شرح الآية، جاعلا الغرض الأول للتفسير هداية الناس، منتقدا التركيز على الجوانب الأدبية، قال محمد عبده:" كان من سوء حظ المسلمين، أنّ أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلحات البيان"[3].

ويشير تلميذه لمنهجه قائلا:" كانت طريقته في قراءة الدرس على مقربة مما ارتآه في كتابة التفسير، وهو أن يتوسع فيما أغفله أو قصَّر فيه المفسرون، ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الألفاظ والإعراب ونكت البلاغة"[4] .

ثم إنّ محمد عبده قسّم التفسير إلى قسمين، جاعلا القسم الأول؛ الجاف المبعد عن الله وعن كتابه، هو ما يقصد به حل الألفاظ وإعراب الجمل، وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية، وهذا لا ينبغي أن يسمى تفسيرا، وإنّما هو ضرب من التمرين في الفنون كالنحو والمعاني وغيرهما[5]. ومنه نلاحظ أنّه عاب على المفسرين التركيز على الجانب الأدبي، جاعلا اللغة وسيلة لفهم القرآن، وليست غاية بحد ذاتها، فقد ركّز على الجانب الإرشادي الاجتماعي،

---

[1]– منهم كامل سعفان صاحب كتاب (المنهج البياني في تفسير القرآن) وغيره من الباحثين.

[2] – أمين الخولي: **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، المرجع السابق، ص 229، بتصرف.

[3]– محمد رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج 1، ص 7.

[4]– المرجع نفسه، ص 15.

[5] – المرجع نفسه، ص 24.

وهذا ما ينتبه له أي قارئ لهذا التفسير، وقد لخّص المراغي هذا بقوله:" وكانت دروسه يجد علماء الاجتماع فيها تطبيق القرآن على معارفهم" [1].

وبعد كل هذا لا يمكن أن نعتبر تفسيره ينتمي للون الأدبي كما صنَّفه محمد حسين الذهبي بذلك قائلا: " ثم إنّ هذه المدرسة نهجت بالتفسير منهجا أدبيا اجتماعيا، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم، ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأمم عامة" [2].

ثم تابعه الكثير من الباحثين [3] في هذا الرأي، رغم أنّ له وقفات قليلة معدودة في هذا المجال، والحقيقة ما كشف هذا التفسير عن بلاغة القرآن أو إعجازه، فقد تعرّض لمباحث اللغة الضرورية منها لكنه لم يركز على الجانب البلاغي، فهو قد شرح الآيات بأسلوب مبسط، وكشف عن المعاني بعبارة سهلة مقبولة.

ولعل أول باحث في العصر الحاضر؛ أوجد للمنهج البياني تعريفا هو صاحب كتاب (المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث) قائلا: "هو الذي يتجّه إلى إثارة وجدان القارئ إثارة روحية رفيعة تحدث السرور في النّفس فتقبل أو تحدث فيها الألم فتأبى وترفض "[4]، ثم إنّ القرآن الكريم غني بذلك؛ فهو لا يعتمد على التفكير وحده للإقناع، بل يعتمد على الوجدان حيث أنّه لا يغفل الناحية النفسية سواء في وعده أو وعيده وأوامره ونواهيه وقصصه وحتى في أحكامه وبراهينه.

نلاحظ أنّ الباحث وصف حالة القارئ النفسية عند قراءته للقرآن أو قراءته للتفسير الأدبي، ولم يحدّد ماهية المصطلح كما كنّا ننتظر منه، كما أنّ دراسته لم تتسم بتتبع المصطلحات بدقة، فهو لم يحاول معرفة مقصدية أمين الخولي من هذا المصطلح، وكذلك تعرّض لدراسة منهج بنت الشاطئ ولم يحدّد مفهوم البيان عندها، إنّما اعتمد على الجانب الاستقرائي بشكل كبير دون الوقوف على حقيقة المصطلح تاريخيا أو تطوره حديثا.

وإذا كان الأدب هو اللغة والفن، والفن كما قال أمين الخولي:" هو الترجمة والتعبير عن الإحساس بالجمال... والخبرة بالنفس البشرية التي يصدر عنها ذلك الإحساس، هو خير ما تقوم عليه دراسة فنية في حقيقتها وجوهرها "[5] . وما دام الأمر كذلك فإنّ " المتفهم لعبارة هو الذي يحدّد بشخصيته المستوى الفكري لها، وهو الذي يعين الأفق العقلي الذي يمتد

---

[1] – محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون**، المرجع السابق، ج2، ص 415.

[2] – المرجع نفسه، ص 402.

[3]– جنح إلى هذا الرأي محمد رجب البيومي في كتابه (خطوات التفسير البياني) وخالد محمد العزاوي في كتابه (المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث).

[4]– خالد العزاوي: **المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث**، دار العصماء، 1433هـ/2012م، دمشق– سوريا، ص 124.

[5]– أمين الخولي: **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، المرجع السابق، ص 250.

إليه معناها ومرماها "[1] وعلى هذا فقد وجدنا آثار شخصية المتصدين للتفسير تطبع تفسيرهم له، حتى ليكاد كل مفسِّر يصبح صاحب منهجه، وإن ربطت بينهم خيوط مشتركة، مرهونة بالمنابع الثقافية المشتركة [2].

وانطلاقا من هذا لعلنا نحاول أن نستوحي مفهوما للمصطلح من خلال ما جاء من خطوات عند مؤسِّسه أمين الخولي، لنقول أنّ التفسير الأدبي: هو تلك النظرة الفنية الخاصة للمفسّر، والتي تكشف لك عن المعاني الضمنية الجمالية للآيات القرآنية، وتريك ما فيها من براعة الأسلوب وبلاغة اللغة ورونق الألفاظ؛ حيث تعكس وصف إحساسه وذوقه للنص القرآني والخطاب الرباني، مع التركيز على الجانب النفسي وتحليله وفق خطوات سطرّها أمين الخولي.

ويمكن تلخيص تلك الخطوات في النقاط التالية:

- تتبع تدرج المعاني اللغوية للألفاظ ثم ربطه بالمعنى الاستعمالي له في القرآن الكريم.
- الانتقال إلى التراكيب متخذا الصنعة النحوية وسيلة إلى بيان المعنى وتحديده، على أن تكون النظرة البلاغية هي الممثلة للجمال القولي في الأسلوب القرآني.
- التعرّف على أسرار حركات النفس البشرية.

المبحث الثاني: نموذج تطبيقي (مختارات من كتاب التفسير البياني لعائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ–)

في معرض تفسيرها لسورة الضحى، تقف وقفة تأمّل في لفظة (سجى) فاللغة تبيح لها أكثر من معنى: منها أقبل أو أدبر، واشتد ظلامه وسكن، أو سكنت النّاس والأصوات فيه، لكن البلاغة – في نظرها– لا تجيز إلا معنى واحدا في المقام الواحد، يقوم به لفظ بعينه، لا يقوم به سواه، وتذهب إلى أنّ سجا الليل في هذا الموضع؛ يدل على السكون أو الفتور، وهو ما يلائم الموقف بيانيا، "وقد قلنا في القسم بالضحى والليل إذا سجا: إنّه بيان لصورة حسية، وواقع مشهود، يمهد لموقف مماثل، غير حسي ولا مشهود، هو فتور الوحي بعد إشراقه وتجليه" [3]."

وفي لفظة (قلى) التي وقف المفسرون أمامها طويلا، لفهم سبب حذف ضمير الخطاب، فالزمخشري قال: إنّه اختصار لفظي لظهور المحذوف، والطبري علّل الحذف بأنّه اكتفاء السامع بفهم معناه، إذ كان قد تقدّم ذلك قوله: ما ودّعك، فعرف بذلك أنّ المخاطب به نبي الله ﷺ كذلك ذهب أبو حيان أنّ الحذف للاختصار، ورأى أحدهم سببا آخر هو رعاية الفاصلة، بينما أضاف الرازي فائدة الإطلاق؛ أي أنّه ما قلاك ولا أحدا ممن أحبك إلى يوم القيامة، لكنها لم تطمئن لما ذهبوا إليه من توجيهات، حتى وإن كان تعليل الحذف برعاية الفاصلة، فليس من المقبول عندها أن يقوم البيان القرآني على

[1] – أمين الخولي: **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، ص 224.

[2] – المرجع نفسه، ص 224

[3] – عائشة عبد الرحمن: **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ج1، ص 31.

اعتبار محض، وإنّما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل، ولو كان البيان القرآني يتعلّق بمثل هذا، لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾

(سورة الضحى الآية:11) ويبقى القول في دلالة الحذف، من وجهة نظرها؛ تقتضيه حساسية معنوية مرهفة، بالغة الدقة في اللطف والإيناس، هي تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى في مقام الإيناس: ما قلاك، لما في القِلى من الطرد والإبعاد وشدّة البغض ، أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعلّ الحس اللغوي فيه يؤذن بالفراق على كره، مع رجاء العودة واللقاء " [1].

وفي قوله تعالى من سورة النازعات ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦ ﴾ (النازعات: 36) ترى بنت الشاطئ أنّ إسناد البروز إلى الجحيم، بالبناء للمجهول، تطَّرد به الظاهرة الأسلوبية في صرف النظر عمدا عن الفاعل لأحداث القيامة، تقريرا لفاعليتها التلقائية، وتركيزا للانتباه فيها.

[1]- المرجع نفسه، ص 35.

المحاضرة السابعة: الاتجاه العلمي في التفسير (الجزء الأول)

(تعريفه – نشأته – وأقوال العلماء فيه)

تعد النزعة العلمية في تفسير القرءان الكريم فكرة قديمة في تاريخ التفسير، حيث أن التطلع إلى البحث في القرآن الكريم عن تفسير بعض الظواهر الكونية ظهر مبكرا منذ عصر التنزيل، ونلحظ هذا في سؤال بعض الصحابة لنبيهم الكريم عن الأهلة، فقد ذكر الطبري في تفسير قوله تعالى (**ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)** أن رسول الله ﷺ سئل عن زيادة الأهلة ونقصانها واختلاف أحوالها، فأنزل الله تعالى ذكره في هذه الآية جوابا لهم فيما سألوا عنه، وذكر الطبري في ذلك أخبارا وآثارا، ثم فسّر الآية في ضوء سبب نزولها فقال: (فتأويل الآية إذا كان الأمر على ما ذكرنا عمن ذكرنا عنه قوله في ذلك : يسألونك عن محمد عن الأهلة ومحاقها وسرارها وتمامها واستوائها، وتغير أحوالها بزيادة أو نقصان ومحاق واسترار، وما المعنى الذي خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة أبدا على حال واحدة لا تتغير بزيادة أو نقصان، فقل يا محمد خالف بين ذلك ربكم ...مواقيت لكم ولغيركم من بني آدم في معايشهم) .[1]

المبحث الأول: مفهوم مصطلح التفسير العلمي وموقف العلماء منه

المطلب الأول: تعريف مصطلح التفسير العلمي:

هو التفسير الذي يحكّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها.

ويرى عبد العظيم الزرقاني أن القرآن عند ذكره لآيات الكون، لا يقصد مطلقا شرح حقيقة علمية في الهيئة والفلك أو الطبيعة والكيمياء، بل هو كتاب هداية وإعجاز بالدرجة الأولى [2].

وأن الأسلوب الذي اختاره القرآن في التعبير عن آيات الله الكونية، أسلوب بارع جمع بين البيان والإجمال في سمط واحد، فإذا هو واضح فيما سيق له من دلالة الإنسان وهدايته إلى الله، ثم إذا هو مجمل التفاصيل، لا يختلف الخلق في معرفة تفاريعه ودقائقه؛ باختلاف ما لديهم من مواهب ووسائل وعلوم وفنون [3].

ويظهر لنا من خلال كلامه أنه ليس المراد والمقصود من التفسير العلمي تحكيم الاصطلاحات العلمية أو الفلسفية في الآيات القرآنية، فالمفسر لا يحكِّم ولا يحمِّل على عبارات القرآن الاصطلاحات العلمية الحديثة، وإنما يستعين بها

---

[1] – الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرءان**، 253/1

[2] – عبد العظم الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط1: 1415هـ/1995م، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ج2/ ص 275.

[3] – ينظر: عبد العظيم الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، المرجع السابق، ج2، ص 277.

ليلقي مزيدا من الضوء على المعاني القرآنية اللامتناهية المستنبطة من الآيات القرآنية، فهذا هو الغرض والمقصود من التفسير العلمي.

كما أنّه لا تعارض بين القرآن الكريم وبين الحقائق العلمية الثابتة والقائمة على اليقين، بل إنّ القرآن الكريم يؤيدها ويؤكدها، فالمفسّر الذي ينهج هذا المنهج في تفسيره يكون هدفه ربط دلالات بعض الآيات القرآنية على ضوء ما وصل وانتهى إليه العلم من الحقائق العلمية اليقينية، لا الفروض والنظريات، بغرض إبراز عظمة الخالق في هذا الكون وبيان إعجاز القرآن الكريم على أنّه من لدن حكيم خبير.

المطلب الثاني– موقف العلماء من التفسير العلمي

لقد شغلت هذه القضية العلمية المهمة بال الكثيرين قديما وحديثا، فمنهم من كان منطقيا ومعتدلا ومنهم من كان بعيدا عن الحقيقة العلمية والشرعية في هذه المسألة، من هنا كان لزاما على أصحاب الدراسات القرآنية أن يقوموا ببيان وجه الحق في هذه المسألة، وكيف تطرق لها علماؤنا السلف وهل وجدت بوادر هذا الاتجاه قديما أم أنّه من الاتجاهات الحديثة كما يتبادر إلى أذهان الجميع باعتبار أنه راج في العصر الحديث.

ولعلنا نبدأ بالطبري رائد المدرسة الأثرية إذ تستوقفه كثير من الآيات التي فيها إشارات علمية، فيستعرض فيها أقوال السلف من الصحابة والتابعين التي توحي بتطلعهم لهذا اللون التفسيري، فيسهب الطبري في سردها، ثم يتخير منها ما يراه متجها إلى معنى الآية، ومن الآيات التي وقف عندها وبها أشار إلى النواة الأولى للتفسير العلمي عمد السلف ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ ﴾ الأنبياء– 30

يقول الطبري: "اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السماوات والأرض بالرتق، وكيف كان الرتق؟ وبأي معنى فتق؟ فقال بعضهم: عنى بذلك أن السماوات والأرض كانت ملتصقتين، ففصل الله بينهما بالهواء" [1]. ويشرح الآية بمختلف الأقوال فيما يقارب سنة صفحات، ثم ينتقل للآية الثانية عند قوله تعالى ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ الأنبياء– 30 فيبسط الحديث حولها أيضا [2].

[1] – الطبري: **جامع البيان في تأويل آيات الأحكام**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1: 1422هـ/ 2001م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر. ج16/ص 255.

[2] – ينظر: الطبري، المصدر السابق، ج16/ص 260.

وقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ الأنبياء- 30 [1].

ومن ثم فإن دعاة هذا الاتجاه في التفسير قد رفعوا لواءه في مختلف القرون، نذكر منهم أبا حامد الغزالي (ت 505هـ) في كتابه (إحياء علوم الدين) الذي قرر فيه: أن هذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها، والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات يختص أهل الفهم بدركها [2]. وأكّد رأيه أيضا في كتابه المسمى بجواهر القرآن. وتابعه على ذلك أبو الفضل المرسي الذي ذكر أنّ: القرآن قد جمع علم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم به، ثم رسول الله – عليه الصلاة والسلام- خلا ما استأثر الله تعالى بعلمه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم [3].

ولما جاء السيوطي (ت 911هـ) أحيا هذا الاتجاه، حيث عقد بابا في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) تحت عنوان:(العلوم المستنبطة من القرآن) وهو النوع الخامس والستون، فقال فيه: " وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل، إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السماوات والأرض وما في الأفق وتحت الثرى، وبدء الخلق، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وعيون أخبار الأمم السالفة " [4].

واستمرت فكرة اشتمال القرآن على جميع العلوم إلى عصرنا، ومعتمد العلماء فيها هو معتمد السيوطي ومن هم على رأيه، ولكن الأهداف تنوعت، فلئن كان إبراز جانب الإعجاز هو أساس الفكرة عند الأقدمين، فقد أضاف إليه المعاصرون جانبا دفاعيا عن القرآن لتبرئة ساحته، ورفع مسؤولية الانحطاط الذي آل إليه حال الأمة الإسلامية في أكثر من جانب.

غير أن أنصار التفسير العلمي للقرآن الكريم في القديم والحديث لم يكونوا على درجة واحدة، فكان منهم المعتدلون الذين أثبتوا ذكر القرآن لبعض العلوم بما يمكن أن تكون دليلا آخر يضاف إلى دلائله الإعجازية، وكان منهم المتحمس الذي حاول تحميل القرآن الكريم ما ليس منه، فجزم بأن القرآن الكريم هو مصدر كل العلوم، وهو ما حمل

---

[1]- الطبري: المصدر السابق، ج 16، ص261.

[2] – أبو حامد الغزالي: **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة – بيروت- لبنان، 260/1.

[3] – الذهبي : **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، 278/2.

[4] – السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، ط: 1436هـ/2015م، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ص 607.

فريقا من العلماء على الرفض والإنكار لهذا النوع من التفسير، فأسرفوا في القول بفساده وبطلانه عندما لم يميزوا بين الحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم كشاهد على عظمة الخالق، وبين غيرها من العلوم التي عرفها الناس وأراد هذا الفريق المتحمس أن يجد لها سندا من كتاب الله تعالى، و قد أنكر صنيعهم الشاطبي (ت 780هـ) في كتابه (الموافقات) واعترض جملة وتفصيلا على هذا الاتجاه التفسيري، ومن الحجج التي اعتمدها المعترضون على التفسير العلمي للقرآن الكريم ما يأتي:

– أن القرآن الكريم موجه إلى عموم الناس، بينما يتوجه العلم إلى أهل الاختصاص، لذلك لا يعتمد في الحقائق القرآنية إلا على المشاهد والأمور القريبة من الإدراك.

– إن القرآن الكريم يخاطب النفوس بينما يخاطب العلم العقول، فكانت الأهداف في القرآن نفسية وجدانية مطيتها التأمل المتدين والاعتبار النفسي، بينما لا تهدف العلوم إلى شيء من ذلك.

– تتسم الحقائق في القرآن بالاستقرار، بينما تخضع النظريات إلى التغير المستمر، لذلك يعرّض التفسير العلمي القرءان إلى البلبلة، ويفضي إلى النيل من قدسيته.

– لم يرد التفسير العلمي عن السلف، لذلك كانت الدعوة إليه دعوة إلى الانصراف عن التفسير الذي بلغنا عن مدرسة النبوة، وفي هذا ما فيه من تحويل وجهة المعاني القرآنية ومفهوم الإعجاز في القرآن كما قررته مدرسة النبوة.

– إن التفسير العلمي للقرآن تفسير طارئ، وهو وليد أحداث مستجدة في العصر الحديث نتجت عنها في المجتمعات الإسلامية تحديات قومية وحضارية تعود أساسا إلى انبهار الشرق بما بلغه الغرب من تقدم علمي ورقي حضاري، لذلك سعى القائلون بالتفسير العلمي للرد على هذه التحديات، وللتنويه بالقرآن في إعجازه ومفهوم صلاحيته لكل زمان ومكان سعوا إلى التأكيد على اشتمال القرآن على أسباب تفوق الغرب في العلوم الحديثة [1].

ويتلخص مما سبق أن الاعتراضات على التفسير العلمي للقرآن الكريم إنما هو اعتراض على النقائص والعيوب التي وقع فيها أصحاب هذا الاتجاه، وهذه النقائص والعيوب في الحقيقة لم ينفرد بها هذا الاتجاه وحده بين مختلف اتجاهات التفسير، بل لكل اتجاه عيوبه التي علقت به، بل حتى اتجاه التفسير بالمأثور قد علقت به بعض العيوب والنقائص، مثل: حذف الأسانيد وشيوع الإسرائيليات وكثرة الوضع في التفسير المنسوب لكبار الصحابة والتابعين، وعلى الرغم من هذه السلبيات فإن الواجب على أهل العلم هو العمل على تخليص التفسير بالمأثور من هذه العيوب، وليس العمل على التخلص من التفسير بالمأثور نفسه، ولو دعا داع إلى وجوب طرح التفسير بالمأثور لما علق به من

[1] – ينظر: الشاطبي: **الموافقات في أصول الأحكام**، دار إحياء التراث العربي، القاهرة– مصر، 26/1.

عيوب لأنكرنا عليه بل وأسأنا الظن به، لما يترتب على دعوته من ضياع فوائد علمية كثيرة في هذا التفسير الذي اختلط فيه الغث بالسمين .

فالتفسير العلمي ضرب من التفسير بالرأي وقد أقرّه العلماء بجملة من الضوابط هي:

- ألا يتعارض ومقاصد الشريعة الإسلامية
- ألا يخالف ظاهر النص القرآني
- ألا يخالف قواعد اللغة
- ألا يظن المفسّر بأن تلك الحقيقة العلمية مقصودة لذاتها، ولكنه معنى زائد في الآية، فإن علماء السلف فهموا المعنى الهدائي والتكليفي من الآية، وهو المقصد الأساسي في آي القرآن وهو ما دلت عليه الآية بالعبارة، وأن الحقيقة العلمية هو ما دلت عليه الآية بالإشارة. وأن التفسير بالرأي والاجتهاد ليس حجة ملزمة لأحد بل يبقى قابلا للبحث والنظر، فيصح الأخذ به مثلما يصح رده، وعلى هذا الأساس نجد المفسر طاهر بن عاشور يقرر أنّ: " أن جلب المسائل العلمية في الآيات الكونية يكون على سبيل الاسترواح لا على سبيل القصد والغرض الأصلي للآية " [1].

وبذلك يمكن التفريق بين نسبة الخطأ للمفسّر في اجتهاده وبين نسبة الخطأ للقرآن الكريم إذا ظهر وجه الخطأ في النظريات العلمية في وقت لاحق، أي أن الخطأ في حقيقة الأمر وارد في اجتهاد المفسر في فهم النص القرآني، وليس واردا في القرءان نفسه، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

مثلا قول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ البقرة: 18، بأن في الآية دليلا على بطلان قول من قال بأن مصدر المطر البحر وليس السماء كما يقول علماء الهيئة [2]. فالخطأ هنا وارد في فهم الزمخشري وليس في مدلول الآية، فهي لا تدل لا بالعبارة ولا بالإشارة على مصدر المطر كما توهم الزمخشري، والباحثون في التفسير العلمي إنما هو أولئك الذين نبغوا في هذه العلوم الكونية والتطبيقية، وليس بالضرورة هم علماء التفسير.

---

[1] – ينظر: الطاهر بن عاشور: **التحرير والتنوير**، المرجع السابق، 42/1.

[2] – ينظر: الزمخشري: **الكشاف**: تح: علي محمد معوض، ط1: 1418هـ/ 1998م، مكتبة العبيكان، الرياض– السعودية، 1/ 80.

وهكذا نجد أن مقولة تحميل آيات القرآن الكريم لمضامين النظريات العلمية يجعل القرآن عرضة لطعن الطاعنين وتشكيك المشككين هو مجرد تحفظ ودعوى من غير دليل، وأن الذين أوردوا هذه الشبهة لم يوردوا مثالا واحدا على ما يقولون.

وأكّد موريس بوكاي على هذا المعنى عندما اعتبر أن هدف القرآن ليس أن يبسط القوانين التي يسير عليها العالم، بل أن يلفت الانتباه إلى عظمة القدرة الإلهية [1].

وإلى هذا المعنى يشير بشير تركي في قوله: " إنّ القرآن وحي إلهي لا ريب فيه، وإنّه كتاب علم وهذا لا يعني أنّه يحتوي على المعادلات الحسابية والنظريات العلمية، ولكنه يعني أنّه نابع من روح العلم وجوهره، كما أنّ القرآن معجزة بلاغية فهذا لا يعني أنّه يحتوي على قواعد البلاغة ولكنه يعني أنّه نابع من روح البلاغة وجوهرها " [2]، ولا ننسى أن خصوم هذا الاتجاه إنما ارتسمت في أذهانهم صورة قاتمة عن هذا الاتجاه من التفسير من خلال كتاب (الجواهر في تفسير القرآن) للعلامة طنطاوي جوهري، فظنوا أنه النموذج الأوحد في هذا الباب، علما أنّه انطوى على جملة من العيوب والنقائص لا يسمح المقام ببسطها، وليس بالضرورة أن يكون كتابه هذا هو النموذج الأمثل في التفسير العلمي للقرآن الكريم، وإذا كانت بلاغة القرآن الكريم التي تمثل أحد جوانب الإعجاز فيه قد جذبت إليها أرباب البيان فوضعوا المؤلفات الكثيرة في الكشف عن الإعجاز البلاغي فيه، واعتبر ذلك خدمة للقرآن الكريم، ولم يقل أحد إن هذا إسراف يؤدي إلى القول بأن القرآن الكريم جاء لإضافة فنون جديدة في لغة العرب، كما لم يقل أحد من أهل العلم بأن في هذه الدراسات تكلفا وتحميلا لعبارات القرآن ما لا تحتمله أو أن هذه التقنينات البلاغية التي وضعوها ووظفوها في الكشف عن معجزة القرآن البلاغية طارئة ولم يعرفها الصحابة، بل كان للقرآن الكريم الفضل الأول في استنباط مختلف قواعد اللغة العربية وعلومها من نحو وصرف وبلاغة، وإذا كان التحدي وقع للعرب من وجه البلاغة التي برعوا فيها، فإن التحدي قائم في كل زمن، ولكل أهل عصر أن يبحثوا في هذا الكتاب عن سر الإعجاز والتحدي بما يزيدهم إيمانا بكلام ربهم ويقوي تعلقهم به، وخلاصة الأمر فإن الذين عللوا إعجاز القرآن في القرون الأولى ببلاغته بناء على ذوقهم وحسهم البلاغي الرفيع، فإن ذلك يناسب حالهم، وكذلك الذين ذهبوا إلى تعليل سر إعجاز القرآن الكريم في عصر العلوم التطبيقية بما تضمنه من إشارات علمية دقيقة قد أحسنوا التعليل أيضا بما يناسب حالهم أيضا، وهم يستندون في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت: 52.

---

[1] – موريس بوكاي: **التوراة والإنجيل والقرءان والعلم**، ص 124.

[2] – بشير تركي: **لله العلم**، ص 143.

المحاضرة الثامنة الاتجاه العلمي في التفسير (الجزء الثاني)

(أهم المؤلفات فيه تنظيرا وتطبيقا)

تتنوع مؤلفات التفسير العلمي بين القديم والحديث، حيث تسعى لربط آيات القرآن الكريم بالحقائق الكونية، وأبرزها (مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي قديما، وتفسير (الجواهر) لطنطاوي جوهري حديثا، وفيما يلي أهم مؤلفات هذا الاتجاه التفسيري:

المطلب الأول– أهم مؤلفات الاتجاه العلمي في التفسير:

- **التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق** للدكتورة هند شلبي، وهو عبارة عن دراسة نقدية ومنهجية في هذا المجال، كان محتوى الكتاب يدور حول أمرين وهما: محاولة جمع مواقف العلماء من التفسير العلمي للقرآن مع عرض الحجج المؤيدة والأدلة المناقضة، والأمر الثاني هو الرجوع في الاحتكام في الموضوع إلى القرآن وعلومه، وإلى اللغة العربية.
- **الإعجاز العلمي إلى أين؟** لمساعد بن سليمان الطيار، وهو كتاب يدرس ضوابط التفسير العلمي، حيث بدأ الكتاب بحديثه عن المعجزة، وذلك تمهيدا للدخول إلى موضوع التفسير العلمي، حيث يتكون الكتاب من مجموعة من المقالات كانت بعنوان (الإعجاز العلمي في القرآن) والمقالة الثانية تحمل عنوان (تقويم المفاهيم في مصطلح الإعجاز العلمي) وغيرها من المقالات الغنية والمفيدة في موضوع التفسير العلمي.
- **التفسير العلمي للقرآن في الميزان،** لأحمد عمر أبو حجر، يقوم الكتاب على اتباع منهج وطريق البحث في أسرار الآيات الكونية الموجودة في القرآن الكريم، حيث يستعرض من خلال طرحه لهذا العنوان أدلة المؤيدين والمعارضين والموازنة بينهما، ويقوم هذا الكتاب على البحث في معنى التفسير والتأويل، ويتطرق لموضوع نشأة التفسير، ومفهوم التفسير العلمي ونشأته، وموقف العلماء منه وغيرها من المواضيع المهمة.
- **التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم – ضوابط وتطبيقات–** لمرهف عبد الجبار سقا،

  وأصل هذا الكتاب رسالة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، بجامعة أم درمان الإسلامية بكلية أصول الدين، يتكون الكتاب من مجلدين، المجلد الأول كان يتحدث عن التفسير وتعريفه، والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وذكر تاريخ هذا الاتجاه من التفسير حتى عصرنا الحالي،

وتناول فيه أيضا ضوابط التفسير والإعجاز العلمي، أما المجلد الثاني كان تطبيقا علميا للضوابط التي رسمت في المجلد الأول، حيث احتوى المجلد على تفسير سورة النحل كاملة.

المطلب الثاني: نموذج تطبيقي: مختارات من تفسير محمد متولي الشعراوي

انطلق الشعراوي في الإعجاز العلمي من فكرة أنه كل يوم في تطور وتجدد، ولا يمكن حصره في زمن محدود أو في نظرية معينة، قال مفسرنا:" إذا كنا كل يوم نخطو في العلم خطوات تدلنا على حقائق، فإذا كان العقل في القرن العشرين يريد أن يفهم الحقائق الغيبية الآن، فماذا ترك لعقل القرن الثلاثين، أليس أسرار الله تجيء بقطارة، كل يوم يعطي الله سبحانه وتعالى خلقه بعض الأسرار؟ ولذلك قلنا في قوله سبحانه وتعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) فصلت: 53.

سنظل(سنريهم) وليس أريناهم...لا.. سنظل نقرأها إلى يوم الساعة(سنريهم) ومعنى ذلك أن كل يوم لا بد أن يأتي بجديد"[1].

وعلى هذا الأساس فقد جاء تفسيره مليء بالقضايا العلمية، منها على سبيل المثال، قوله تعالى في سورة النبأ الآية 14 (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) أي من ماذا؟ بعضهم يقول: الرياح، وبعضهم يقول: السحب وبعضهم يقول قمم الجبال، المهم أنها من شيء أعصر يعني حان وقت إنجابه، الريح تحمل السحاب، إنما ليس كل ريح تحمله السحاب يمطره، لازم يبلغ منطقة باردة لكي يتكاثف وينزل، كذلك الجبال ليس كل جبل له قمة ينزل عليها ماء، لازم جبل يكون على مستوى عال، (ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا)المرسلات: 25-27، فإسقاء الماء الفرات مرتبط برواسي شامخات"[2].

ثم بعد ذلك نجده يسترسل في الشرح والتوضيح، من منطلق الإحصائيات العلمية، إلى أن ينتهي إلى حقيقة علمية تعينه على تأكيد وجهة نظره حول معنى الآية الكريمة، إذ قال:" قالوا إن الرياح التي تمر على منطقة خط الثلج تودع كل ما فيها من ماء على القمم وبعدين تهب على الجهات المقابلة بدون **ماء**، هل معنى ذلك أن الجهات التي ليس لها خط ثلجي يمدُّها، تظل من غير ماء..لا.. عملية الرياح، ولذلك آية النور تشرح لنا هذه العملية، (ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يولف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) النور: 43.

كنا نفهم أن كل سحاب يجيء يمطر...لا..لازم سحاب من ذكورة ومن أنوثة، لازم فيه كهربائية موجبة وكهربائية سالبة، ويجتمعا مع بعض وتجيء العملية، وكنا نفهم زمان لما ربنا سبحانه وتعالى يقول: (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) الحجر: 22 كنا نفهم أنها تلقح النباتات، وبعد ذلك عرفنا كيف

---

[1]- الشعراوي: **المختار من تفسير القرآن الكريم**، ج2 ص58

[2]- الشعراوي: **المختار من تفسير القرآن الكريم**، ج2ص 60

أنه جاء بعدها (فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) يبقى إذن هي ليس لواقح الذي ترونه، أيضا تلقح الموجبة والسالبة وينزل المطر، هذا كلام أعطاه لنا العلم، جزاه الله خيرا النشاط الذهني الذي أعطانا هذه المعلومات"[1].

وكان من منهجه أيضا الاستدلال لقضية غيبية بقضية متفق عليها، ليجعل المنطلق من المتفق عليه إلى المختلف فيه: قال الشعراوي: "هذه القضية شائعة في القرآن، ولعلنا عرضنا نماذج كثيرة منها، فمثلا قضية الحياة وكيف نشأنا وكيف خلقنا؟ هذا أمر لم نشهده، لم يشهد الإنسان كيف خلق؟ {ما أشهدتم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم} كيف نعرف كيف خلقنا؟ ممن خلق، هو الذي يقول لنا كيف خلقنا، إذن هذه مسألة وضع فيها الحاجز أمام النشاط الذهني العلمي في أن يعرف كيف بدأ الخلق؟ مسألة مفروغ منها في أنه لا يمكن أن نعرف علميا، علم تجريبي ليس ممكنا، ما لم يكن من خبر الخالق فلا علم لك بها، لا تقدر كيف خلقت السماء والأرض؟ ودعك من الضرب من الحدس ومن التخمين الذي يقع فيه القوم الذين يكلفون عقولهم فوق طاقتها، وفوق مجالها، العقل معمول لكي يبحث علما تجريبيا في مادة أمامه، أما علم لا يجري عليه تجربة لا يمكن يجيء فيه حقيقة علمية أبدا... فلما ربنا جاء يتكلم عن قصة الخلق حكى لنا وقال: الإنسان الأول خلقته من سلالة من طين، وبعدين مرة قال من تراب، ومرة من طين، ثم وصف الطين مرة وقال إنه حمأ مسنون، ثم قال مرة أخرى من صلصال كالفخار، فيجيء المستشرقون يتيهون عجبا ويقولون: القرآن فيه تعارض... نقول: وهل التنقل بين المراحل تضارب؟ التراب إذا جاء عليه الماء صار طينا، والطين إذا ظل مدة حتى ينتن ويعطب يبقى حمأ مسنون متغير الرائحة، وإذا ترك ليجمد يبقى صلصال كالفخار، فهذه مرحليات وليست تناقض، هذا الكلام لو كان الطين ليس من التراب، لو كان الحمأ مسنون ليس أصله الطين، إذن هذه مرحليات في فكرة الخلق فقط، تقول هذا أمر غيبي عنا، ربنا قصّ لنا ونحن صدقنا لأننا نوثق الله ونصدقه، إنه خلقنا من تراب، من طين، لكن الحق سبحانه وتعالى حينما يريد أن نعرف صدقه في هذه القضية، ماذا يفعل؟ يأتي بأمر محس ليجعله الدليل على الأمر الغيبي، نحن لا يمكننا أن نعرف كيف جاءتنا الحياة، ولكننا بالتأكيد نعرف كيف نموت؟ إذن فجعل الموت الذي هو ظاهرة حسية نراها وسيلة للتصديق بالظاهرة الغيبية التي لم نرها، إذا مات الإنسان ماذا يحصل؟ إذا مات الإنسان آخر حاجة تخرج روحه، وهي آخر شيء أودع فيه، قصة الحياة...صلصال كالفخار وبعدين نفخ فيه فصار حيا، إذن آخر شيء جاء له في إيجاد الحياة هو نفخ الروح، يبقى أول شيء يطير منه الروح"[2]، ثم يحاول تقريب المعنى لتأكيد الفهم، يقول: " إذا جئت إلى طريق وسرت فيه إلى نهايته، ثم أردت العودة في الطريق، آخر محطة وصلت لها هي أول محطة ترجع لها، تبقى قصة الحياة هكذا

[1]- المرجع نفسه ج2 ص61.

[2]- الشعراوي: **المختار من تفسير القرآن الكريم**،ج 2/ ص 40

وقصة الموت تجيء بالرجعة، ولذلك تستعجب حينما تأتي في سورة الملك (الذي خلق الموت والحياة) كان المفروض يقول الحياة والموت، لكنه قال الموت والحياة، لأن الموت هذا ممكن ملحظيا وتجريبيا نقدر نراه، وبعد ذلك تستدل من وقائع الموت وترتيبها وقائع الحياة، لذلك هو المنفذ والدليل إلى معرفة كيف أن الله صدق حينما قال: في حياتك كذا وكذا.

المحاضرة التاسعة: الاتجاه العقدي

المطلب الأول–مفهوم الاتجاه العقدي في التفسير:

وهو الذي يعنى فيه المفسر بالجانب العقدي المتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر، والملائكة والكتب والرسل، كما يبين عقائد أصحاب الملل وطرق محاورتهم ومعرفة أسس منهجهم في التفسير ودفع أباطيلهم[1].

المطلب الثاني–نشأة التوجه العقدي في التفسير:

كان الصحابة –رضي الله عنهم –يفهمون آيات العقيدة فهمًا سليمًا دون تكلّف أو تعسّف، إذ كانت توجيهات القرآن الكريم حاضرة في نفوسهم، ولم يكن فيهم هذا التوسع في الجدل. واستمر الأمر على ذلك إلى أن ظهرت في البيئة الإسلامية فرق ومذاهب، فأصبح الناس أحزابًا، يلجأ كل فريق إلى القرآن ليستدل به على ما يوافق معتقده، وقد يتكلف في ذلك، مما انعكس أثره على كتب التفسير.[2]

وفي القرن الثاني الهجري ظهرت مناهج وأساليب جديدة نتيجة ترجمة التراث اليوناني والفارسي، ودخول أفكار فلسفية وكلامية إلى البيئة الإسلامية، مما أفرز رؤى وقضايا جديدة، وأدى إلى نشوء اتجاهات تفسيرية كلامية، فأصبح كل فريق يفسر القرآن وفق أصوله العقدية.[3]

وأخذ التفسير بعد ذلك يمرّ بمراحل متعددة، فانتقل من طور التفسير بالمأثور إلى طور الاجتهاد العقلي وإعمال النظر، واستنباط معاني القرآن في ضوء ما توفر من علوم ومعارف، مع تأثره بالنظرات الفلسفية والكلامية. وقد أدى ذلك إلى تلوّن التفسير بحسب اتجاهات المفسرين، فظهرت فيه آثار الثقافة الفلسفية والمعرفة الصوفية وآثار النِّحل والأهواء، إذ إن كل من برع في فنٍّ من الفنون مال في تفسيره إلى ما برع فيه.[4]

وبقيت هذه العوامل مؤثرة في كتب التفسير، وموجِّهة لاختلاف مناهج المفسرين في فهم النص القرآني.

---

[2]– ينظر: فضل حسن عبَّاس، **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**، ط (1): 1437 هـ – 2016 م، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ج (1) ص (536).

[3]– **نشأة الاتجاهات التفسيرية ومراحل تطورها**، مركز نون للترجمة والتأليف، عدد 2 ت ن (2024/09/14) ص (163/162).

[4] - محمد هادي معرفة، **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، مؤسسة الروضوية للنشر والتوزيع ط (1): (1418)، ج (1)، ص 18.

المطلب الثالث– أهم مميزات الاتجاه العقدي في التفسير:

1 – التركيز على أن الإسلام دين العقل:

يختلف مفهوم العقيدة عند الغربيين عنه عند علماء المسلمين، فبينما يرى كثير من فلاسفة الغرب وعلمائه أن العقيدة لا ترتكز على العقل، وليس للإرادة فيها دخل، إذن تقوم المعرفة على أساس من العقل، وليس كذلك (الإيمان). أما العقيدة عند المسلمين، فهي ما يرتكز على العقل والوجدان معًا.

2–عدم التعقيد وسهولة العرض ويسره:

وتلك هي في الحقيقة سنة القرآن، وطريقته وهو يعرض أمور العقيدة. لقد ذكر القرآن الألوهية والبعث وأخبار الأنبياء، وكان في ذلك كله داني القطوف سهل المسلك ميسر المعنى.

3–الرد على الشبهات والافتراءات:

أصيب الإسلام في هذا العصر بنكبات كثيرة، اجتمعت عليه؛ من أقطار الدنيا المختلفة شرقها وغربها. ولقد كان أعداء الإسلام، أن يحولوا بين المسلم وبين سلوكه القويم في عبادته وحياته كلها. فلما كان لهم ما أرادوه، انتقلوا نقلة أخرى وهي زعزعة عقيدته، وإحلال الشبهات والأفكار الغريبة مكان تلك العقيدة، ليتنكر المسلم لدينه، ومن المؤلم أن الكتل الكبرى في هذا العالم، تعمل على محوها من قلوب المسلمين، لذلك كان لزامًا على مفسري القرآن في هذا العصر أن يشمروا عن سواعدهم، ويدفعوا بكل ما عندهم من طاقة وقوة، أمدهم بهما القرآن، الذي لا ينضب في دفع الأفكار السامة الوافدة.

4–تضييق نطاق الخلافات الداخلية:

إن كتب التفسير القديمة مليئة بالخلافات بين المعتزلة وأهل السنة وغير هؤلاء وأولئك، من أصحاب المذاهب والفرق الإسلامية، لذلك من الواجب رد ما بطل منها، وغربلة ما يصلح منها، وتنقيح أخطاءها .[1]

المطلب الرابع– نموذج لتفسير المعتزلة:

﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾ (الأنعام: **103**)

البصر: هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر، به تدرك المبصرات. فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه، لأنه متعال أن يكون مبصرا في ذاته، لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا، كالأجسام

[1] –فضل حسن عبَّاس، **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**: المرجع السابق، ص(545).

والهيئات وهو يدرك الأبصار، وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة؛ التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن أن تدركه الأبصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الأبصار، لا تلطف عن إدراكه وهذا من باب اللطف.[1]

هنا نجد الزمخشري ينفي رؤية الله عز وجل.

يقول ابن عاشور رادا على المعتزلة ومن ينفي رؤية الله عز وجل: والخلاف في رؤية الله في الآخرة شائع بين طوائف المتكلمين فأثبته جمهور أهل السنة لكثرة ظواهر الأدلة من الكتاب والسنة، مع اتفاقهم على أنها رؤية تخالف الرؤية المتعارفة. وعن مالك– رحمه الله «لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكفار بالحجاب في قوله تعالى: **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** [المطففين: 15]. وعنه أيضا «لم ير الله في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رأوا الباقي بالباقي».

وأما المعتزلة فقد أحالوا رؤية الله في الآخرة لاستلزامها الانحياز في الجهة. وقد اتفقنا جميعا على التنزيه عن المقابلة والجهة، كما اتفقنا على جواز الانكشاف العلمي التام للمؤمنين في الآخرة لحقيقة الحق تعالى، وعلى امتناع ارتسام صورة المرئي في العين أو اتصال الشعاع الخارج من العين بالمرئي تعالى لأن أحوال الأبصار في الآخرة غير الأحوال المتعارفة في الدنيا. وقد تكلم أصحابنا بأدلة الجواز وبأدلة الوقوع، وهذا مما يجب الإيمان به مجملا على التحقيق. وأدلة المعتزلة وأجوبتنا عليها مذكورة في كتب الكلام وليست من غرض التفسير ومرجعها جميعا إلى إعمال الظاهر أو تأويله.[2]

[1]– محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة – مصر؛ دار الكتاب العربي ببيوت ط (3): 1987 م، ج (2) ص (54).

[2] –محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير [تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد]**، الدار التونسية للنشر – تونس: [1404هـ / 1984 م ،ج(7)ص(415).

المحاضرة العاشرة: الاتجاه السياسي

المطلب الأول: تعريف الاتجاه السياسي في التفسير

نلحظ في هذا العنوان ثلاث مفردات رئيسة: الاتجاه السياسي، التفسير، وبما أننا عرّفنا سابقا مصطلحي (الاتجاه- التفسير) سنكتفي بتعريف مصطلح (السياسي).

"السياسي": وهو اسم نسبة إلى السياسة، والسياسة مصدر ساس يسوس فهو سائس، قال ابن منظور: "السوس الرياسة، يقال: ساسوهم سوساً، وإذا رأسوه قيل: سوسوه وأساسوه، وساس الأمر سياسة قام به، ورجل ساس من قوم ساسة وسواس، أنشد ثعلب[1]:

سادة قادة لكل جميع ساسة للرجال يوم القتال

وسوسه القوم جعلوه يسوسهم، ويقال: سُوس فلان أمر بني فلان: أي كلف سياستهم.

وفي الحديث: (كان بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم، أي تتولى أمرهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية).

والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه ، وقال أبو البقاء في الكليات: "السياسة: استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل .[2] وتناول علماؤنا موضوع السياسة وأفردوه بالتصنيف منذ القدم، وفرقوا بين المباح الشرعي منها وغيره، ويحسن أن أذكر كلام ابن القيم فيما نقله عن القاضي الحنبلي ابن عقيل، ثم تعليقه عليه، يقول: " وقال ابن عقيل في الفنون: "جرى في جواز العمل في السلطنة بالسياسية الشرعية : أنه هو الحزم، ولا يخلو من القول به إمام، فقال شافعي: لا سياسة إلا ما وافق الشرع ... فقال ابن عقيل : السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ولا نزل به وحي، فإن أردت بقولك : إلا ما وافق الشرع أي لم يخالف ما نطق به الشرع ؛ فصحيح وإن أردت : لا سياسة إلا ما نطق به الشرع فغلط وتغليط للصحابة، فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والتمثيل ما لا يجحده عالم ، ولو لم يكن إلا تحريق عثمان المصاحف، فإنه كان رأياً اعتمدوا فيه على مصلحة الأمة، وتحريق علي- رضي الله عنه- الزنادقة في الأخاديد، فقال:[3]

---

[1]- محمد حسين الذهبي، **علم التفسير**، بحث من مجموعة "بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة"، 381؛ التفسير والمفسرون 11/1.

[2]- ابن منظور، **لسان العرب**، ٦/١٠٨

[3]- أبو البقاء: **الكليات**. ٥١٠

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً

ونفي عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– لنصر بن حجاج " اهـ. هذا كلام ابن عقيل.

ولما انتهى ابن القيم من إيراده قال: "وهذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك، ومعترك صعب، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيعوا الحقوق وجرؤوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد[1].

وأفرطت طائفة أخرى قابلت هذه الطائفة، فسوغت من ذلك ما ينافي حكم الله ورسوله، وكلا الطائفتين أتيت من تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله، فإن الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، فإن ظهرت أمارات العدل، وأسفر وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه[2].

التفسير المعاصر:

ويعرفّها المعاصرون بأنها: "هي فن ممارسة القيادة والحكم، وعلم السلطة أو الدولة. وأوجه العلاقة بين الحاكم والمحكوم ويربطها بعضهم بالوصول إلى السلطة. فيجعلها: "الوسائل التي يستطيع من خلالها بعض الأفراد والجماعات السيطرة على الوضع أكثر من الآخرين. ويجعلها آخرون: طريقة نفسر من خلالها العالم.

وعلى ذلك، فالاتجاه السياسي في التفسير: هو تناول النص القرآني من جهة ما يرشد إليه في جوانب تحقيق العدل في المجتمع، وتنظيم العلاقات الداخلية والخارجية فيه وفهم هذا النص فهماً تستخرج به مناهج الحكم وخطوطه العريضة، وطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وما يتعلق بذلك.

ويتناول "الاتجاه السياسي في التفسير على هذا بالدرجة الأولى العلاقات بين الحاكم والمحكوم، والأسس العامة التي تقوم عليها علاقات الناس بعضهم ببعض، وأثر ذلك على تحقيق العدل والسعادة والأمن، وكذلك يشمل علاقة الأمة بغيرها من الأمم، وهو ما يسمى اليوم بـ "العلاقات الدولية"، مما يضمن مكانة الأمة وأستاذيتها وريادتها. ويشمل كذلك: أثر المنظومات الاقتصادية الإسلامية، والاجتماعية الإسلامية على الاستقرار العام والأمن والطمأنينة في داخل الأمة واستقلال قرارها، وكذا النظرة الفلسفية الإسلامية لأصول الحكم ومصادره، وما أشبه ذلك، فالاتجاه السياسي: تفسير للنص القرآني من هذه الجهة، كما هو الحال في الاتجاه الفقهي أو اللغوي في التفسير مثلا.

---

[1] ابن القيم: **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، ص ١٣

[2]– ينظر: **الطرق الحكمية**، ص ١٤ القرضاوي، **السياسة الشرعية**، ص ٣١.

المطلب الثاني: جهود المفسرين في الاتجاه السياسي في التفسير

لما كان القرآن الكريم يعالج حياة البشر في جوانبها المتعددة، وكانت السياسة جزءاً منه كان عرض المفسرين لهذا الجانب أمراً طبيعياً، تقتضيه الحقيقة القرآنية، إلا أنه كان يظهر جلياً أن الفترات التي كان المسلمون يعيشون فيها أحوالاً قاسية سياسيا ينتعش اتجاه المفسرين فيها إلى علاج هذا الأحوال من خلال تفاسيرهم، أو على الأقل التعبير عن حملهم لهذا الهم وعنايتهم به، ورحم الله الرازي، إذ يتم تمام المائة من المسائل الفقهية المتعلقة بالوضوء عند تفسيره آية الوضوء في سورة المائدة، ثم يقول: فهذا جملة الكلام في المسائل الفقهية المستنبطة من هذه الآية، وهي مائة مسألة، وقد كتبناها في موضع ما كان معنا شيء من الكتب الفقهية المعتبرة، وكان القلب مشوشاً بسبب استيلاء الكفار على بلاد المسلمين، فنسأل الله تعالى أن يكفينا شرهم، وأن يجعل كدنا في استنباط أحكام الله من نص الله سبباً لرجحان الحسنات على السيئات إنه أعز مأمول، وأكرم مسؤول [1].

ومن أبرز من ظهرت منه عناية خاصة بالشأن السياسي في تفسير القرآن: ابن برجان صاحب تفسير (**تنبيه الأفهام**) الذي عاش فترة من الزمان دالت دولة الروم فيها على المسلمين، واحتل فيها هؤلاء الغزاة بيت المقدس، وفعلوا بالمسلمين الأفاعيل بينما كان أمراء الزمان في غفلة واتباع للهوى وموالاة لأمراء الروم وسلاطينهم وكان العامة في جهل وتضييع للدين، وبعد عن معرفة رب العالمين، في سلسلة من التوصيفات تقنع القارئ أن زمانه ليس ببعيد في الحالتين السياسية والدينية عما نعيشه اليوم ونعانيه، في ظل هذا الواقع المضطرب نجد ابن برجان يسهب في كثير من المواضع بتحليل الواقع وذكر عيوبه، ويبين للأمة المخارج والحلول لمعاناتها ومثاله ما تكلم به عند تفسيره قول الله تعالى: (**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون الأنبياء**) ، قال مبينا أثر صلاح الأمة وفسادها بفقدها أرضها ومقدساتها: " ومفهوم الوراثة يعطي أنهم – أعني الصالحين – يرثونها من غير الصالحين، فورثها صدر هذه الأمة – وهم الصحابة والتابعون ومن بعدهم من المسلمين – عن الروم، ثم عمرها المسلمون بذلك خلف عن سلف، إلى أن فسدت الأعمال منهم وظهرت فيهم البدع وخربت القلوب : خَلَفَهُمْ فيها الروم من لدن عام تسعة وثمانين وأربعمائة إلى هلم جرا[2]. ثم إذا صلح آخر هذه الأمة إن شاء الله فتحها الله عليهم وأورثهم إياها، ثم كذلك ما صلحوا، إلى وفاة عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى من تبعه بإحسان وبوفاته يكون وفاة المؤمنين معه، ثم يخلف المؤمنين فيها وفي غيرها غيرهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ففي هذا

---

[1] –الرازي: **مفاتيح الغيب**، 316/4

[2]–كانت الحملات الصليبية قد انطلقت عام ٤٨٩ هـ بدعوة البابا إيربان الثاني الذي كان يتنقل بين المدن الأوربية يدعو إلى الحرب الصليبية، وانقسمت جيوش الصليبية في الحملة الصليبية الأولى إلى حملتين: الأولى على مستوى الشعوب، وسميت (حملة الشعوب) بقيادة بطرس الناسك، والثانية على مستوى الأمراء والحكام وسميت (حملة الأمراء).

التقليب وتحقيق هذه الوراثة للصالحين واستخلافه الغير منهم عليهم بلاغ لقوم عابدين، وإعلام لهم بأثرتهم عنده ومكانتهم لديه، وإعلام منه لعباده أن القرآن أنزله بعلمه الغيب لا إله إلا هو، ومن غريب هذا التفسير مما يحسن ذكره في هذا المقام: أنه تنبأ بزمن فتح بيت المقدس بينما كان محتلا من قبل الروم قبل فتحه بأمد طويل، وذلك في تفسيره مطالع سورة الروم، وأنا أنقل عنه ذلك مقتصرا على محله، ومن أراد قراءة كل الكلام فليرجع إليه، قال[1]: "ثم قال عز من قائل : ﴿ وَهُم – يعني الروم – مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (الروم): أي أنهم غلبوا ثم هم يغلبون. ومن بعد غلبهم هذا سيغلبون: أي إنهم إذا غلبوا يغلبون ثم يغلبون.

ويظهر التفسير السياسي جلياً في مطلع القرن العشرين الميلادي، الرابع عشر الهجري في كتابات ثلة من الأكابر المجددين، الذين شكلوا حركة تفسيرية سياسية، واكبت ما يعيشه المسلمون من الظروف والمشكلات السياسية، يقول الدكتور محمد إبراهيم شريف في التعليق على الجهود التفسيرية التي بذلها المصلحون من السياسيين في تلك الفترة: «إن حركة التفسير الحديثة لعبت دوراً هاماً في تقييم الوعي السياسي من وجهة النظر الإسلامية، وفي استلهام النص المقدس ما يبعث في الناس حمية الكفاح من أجل الحق والعدل [2]، بدأ هذه الحركة التفسيرية السياسية جمال الدين الأفغاني بدأها في مقالاته في العروة الوثقى، التي تُعد أول محاولة حديثة يستشهد فيها المفسر بالنص القرآني على فكرة سياسية واضحة، ولذلك كان الأفغاني يرى في القرآن وسيلة كبرى لتوجيه كفاح المسلمين ضد الأجنبي [3]يقول في ذلك : وما دام القرآن يتلى فيهم، وفي آيته ما لا يذهب على أفهام قارئيه فلن يستطيع الدهر أن يذلهم، [4]، وعرض عبد الرحمن الكواكبي لهذا المنحى السياسي في التفسير، فقد كان يرى وهو المصلح، الداعي للنهوض أن سبب انحطاط الأمة وتأخرها هو «الاستبداد السياسي»[5]. وعرض في كتابه هذا للتفسير السياسي للنص القرآني من جهة الحكم والحاكم وسياسات الحكم المتبعة والواجب اتباعها وأشباه هذا، وعاب على بعضهم بعنف تفسير القرآن بما يخدم الطغيان، وعد منشأ الاستبداد السياسي في أكثر الأحيان: الاستبداد الديني ، يقول: وهذا القرآن الكريم مشحون بتعاليم إماتة الاستبداد وإحياء العدل والتساوي حتى في القصص منه ومن مجملها قول بلقيس ملكة سبأ من عرب تبع تخاطب أشراف قومها : **(قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ)**

---

[1]– التعليقات المدونة على نصوص ابن برجان هي من كلام محققه د. فاتح حسني، الذي حقق التفسير وبذل فيه جهدا مشكورا.

[2] –محمد إبراهيم شريف: **اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر**، ٣٤٤، وانظر: عفت الشرقاوي، **التفسير ومشكلات السياسة**، مقال منشور في موقع الموسوعة الإسلامية

[3]–مجلة العروة الوثقى ١/١٥ .

[4]– عبد الرحمن الكواكبي: **طبائع الاستبداد**، ص 42.

[5] – المرجع نفسه: ص 61.

قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (3) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يفْعَلُونَ) النمل: 32.

يعرض صاحب المنار في أهم ما يعرض إليه في السياق السياسي لما تعانيه بلاده من الاحتلال، ولظى الاستعمار، فعند تفسير قوله تعالى : **(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ)** التوبة: 29، يقول: ولما كان تفسيرنا هذا تفسيراً علمياً عملياً، أثرياً عصرياً وجب علينا في هذا المقام أن نبين حال مسلمي عصرنا فيه مع مغتصبي بلادهم، والجانين على دينهم ودنياهم، ليكون أهل البصيرة والعلم من الفريقين على بينة من التنازع والتخاصم الواقع بينهما؛ فيجدوا له صلحاً معتدلاً إن أمكن الصلح، فإن لم يفعلوا، فلينتظروا حكم الأقدار فيما لسنن الاجتماع من الأطوار : **(وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)** آل عمران : 140، وفي تفسير قول الله تعالى: **(وَإِذْ أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)** البقرة: 124، نقل عن أستاذه كلاماً ثم قال: اكتفى الأستاذ الإمام بهذه الإشارة في الدرس، ونزيدها إيضاحاً فنقول: قد غلبت على الناس أهواء السلاطين والحكام الظالمين، حتى إن هؤلاء الأئمة الأربعة [1] لم يسلموا من أولئك الظالمين، فهكذا عامل الملوك الظالمون هؤلاء الأئمة وبلغوا منهم ومن الناس ما أرادوا من إفساد الدين والدنيا وكلنا يعلم أن أولئك الذين ظلموا الأئمة الذين يدعي الأمراء والحكام اليوم اتباعهم كانوا أقل توغلاً وإسرافاً في الظلم من أكثر الملوك والأمراء المتأخرين، وإنك لترى أكثر الناس تبعاً لأهواء هؤلاء الرؤساء إلا من وفقه الله وهداه، وقليل ما هم، بل هم الغرباء في الأرض، وأما المتأخرون يقصد من الحكام – فلا يعرفون من ذلك – يقصد من العلم والسنة – أكثر مما يعرفه السوقة، ويعملون بخلاف ما يعلمون، بل يشرعون للناس أحكاماً جديدة؛ يأخذونها من قوانين الأمم، تخالف الشريعة، ولا توافق مصلحة الأمة، ويلزمون عمالهم وقضاتهم الحكم بها، باسمهم لا باسم الله تعالى: **(وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**) المائدة : 44.

ويظهر في هذا الحقل – كذلك – الشيخ أبو الأعلى المودودي، الذي يعده بعضهم أحد أبرز رواد الفكر والدعوة المعاصرين، يظهر كمفسر – وإن لم يكتب تفسيراً منهجياً كاملاً – يسلّط الضوء فيه على مفاهيم سياسية مفصلية، تتعلق بقضية الحكم والتحاكم، تلكم القضية الكبرى التي شغلت المسلمين، فبين فيها مفاصل مهمة يتعلق بها الإيمان وتتحدد بها العقيدة، صنف المودودي كتاباً خطيراً، يُعد من قبل التفسير الموضوعي، بين فيه معاني مصطلحات أربعة في القرآن: الإله، الرب، العبادة، الدين وسماه "المصطلحات الأربعة في القرآن"، وضح فيها المدلول الدقيق لهذا المصطلح وفق الاستعمال القرآني، وبيّن فيها على وجه البراعة كون هذه القضية من القضايا التي تدور عليها الدعوة

[1] محمد رشيد رضا: **تفسير المنار**، 284/10.

القرآنية، وأساساً يبنيه كثير من آياته، وعرج فيه على الادعاء الفرعوني للربوبية والألوهية، مبيناً سياسية هذا الادعاء، كذلك يمر على دعوات الأنبياء، ويعرض لها بتفسير سياسي عجيب[1].

واستلم الراية – معه ومن بعده الأستاذ سيد قطب –رحمه الله تعالى–، الذي انتقل بالتفسير السياسي نقلة لم يسبق إليها عمقاً وشمولاً ولم يلحق فيما أعلم في المقدار الذي بلغه خصوصاً وأنه أتم التفسير إلى آخره، وهذه ميزة لم يوفق إليها أكثر المعاصرين، ممن اشتهروا بالتفسير وعنوا به، ومن أمثلة ما جاء في تفسيره من الإشارات والتوجيهات السياسية: ما ذكره عند قول الله تعالى: (**قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**) المائدة: 59، يمزج بين التفسير التقليدي المعني بنقل واقع نزول الآية والتفسير السياسي التطبيقي، الذي يُعنى بإبراز التجلي الواقعي لها.

وظهرت مؤخرا مجموعة من الدراسات الجادة العميقة في حقل التفسير السياسي للقرآن؛ وهي على جدتها وعمقها تمثل جزءاً مما يمكن استنباطه وتدارسه في التفسير السياسي، وتعد هذه الدراسات – ولا شك – خطوة متقدمة في هذا المضمار، وعلى نمطها يمكن أن ينسج في استكمال الطريق وبلوغ الهدف، ومن بديعها : دراسات الدكتور حاكم المطيري، وهي مجموعة من الرؤى العميقة في النصوص القرآنية والنبوية والراشدية يدعو فيها الباحث إلى استنباط الخطاب السياسي الإسلامي" المعتمد على المصادر الأصيلة ومنها: الحرية أو الطوفان، وتحرير الإنسان وتجريد الطغيان، وغيرها.

دراسة الأستاذ رضوان السيد: مفاهيم الجماعات في الإسلام؛ دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي."

دراسة الدكتور عبد الرحمن الحاج: الخطاب السياسي في القرآن السلطة والجماعة ومنظومة القيم، وهو كتاب عميق، لم يفت الباحث استعمال أدوات العلوم السياسية في الاستنباط من النص القرآني، وبناء المنظومات السياسية المتكاملة منه بأسلوب عصري متين، دال على توسع في الاطلاع على العلوم السياسية ومكنة وخبرة.

ومنها كذلك دراسة الدكتور التيجاني عبد القادر: أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، وهي كذلك دراسة عميقة في الأصول السياسية في القرآن الكريم، وفق الباحث في تناولها أيما توفيق، وعرضها بأسلوب جذاب ممتع.

[1]- **تفسير المنار** – ، 371/7.

وإلى جانب هذه الدراسات القرآنية المحضة ظهرت الكثير من الدراسات العميقة في الفكر السياسي الإسلامي والفقه السياسي والتجديد الفقهي بما يناسب المرحلة وهكذا. وهذه جولة في رحاب الجهود المبذولة في السياق السياسي لتفسير القرآن، جيء بها على هذا النسق

المطلب الثالث: ضوابط الاتجاه السياسي في تفسير القرآن الكريم

لا بد لضمان استقامة المنهج في الاتجاه السياسي في التفسير من مراعاة ضوابط نتحاكم إليها، أو نتحاكم إليها في العمل التفسيري السياسي للقرآن الكريم. ذلك أن انحراف هذه الطريق خطيرة من جهة، والواقع التاريخي والمعاصر يشهد على ذلك، وأن ثمة انحرافات أخرى موجودة من جهة ثانية.

ثم إن هذه الضوابط منها: ما هو عام، يُذكر في التفسير بشكل عام، ومنها: ما هو خاص بالاتجاه السياسي في التفسير، وإني مجمل ذلك كله فيما يأتي:

أولاً: ينبغي أن يقدم هنا الضابط الخاص بالمفسر نفسه، من حيث ما يجب أن يتصف به من الصفات، وأن يتقنه من العلوم، وقد ذكر أهل العلم زمرة من الشروط التي بينوها فيمن يسوغ له الكلام في التفسير اجتهاداً، وذلك حتى لا يكون التفسير علماً يتسور محرابه أي أحد فيقع التخليط، وتثور فوضى "الاستنباط"، ثم إن الكلام في القرآن بلا آلة – هي العلوم اللازمة – يمتلكها المفسر قبل الخوض في تفسير النص هو[1] من الخطورة الدينية بالمكان العظيم، وقد تكلم العلماء في هذا بما هو معلوم عند من له أدنى اطلاع.

ثانيا: الضوابط العامة المتعلقة بالتفسير ذاته، من حيث ما يكون به القول مقبولاً معتبراً أو غير معتبر، ويقال في هذا المقام إن ثروة ضخمة من التفسير في الجانب السياسي متعلقة بالتفسير بالمأثور، ذلك أن النبي –صلى الله علية وسلم –قد فسر القرآن بمسلكه وتفاصيل حياته.

ثالثا: أن لا يأتي المفسر بمعنى للآية يخالف صحيح المنقول عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم –إذا كان هذا المنقول حصرياً في معنى الآية، لا تمثيلاً على بعض أفراد معناها، ومثاله قوله تعالى: **وَ(أَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ)** الأنفال: 60، فقد صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه فسر القوة في الآية بالرمي، فقال: (ألا إن القوة الرمي، قالها ثلاثا)، ومن المعلوم أنه– صلى الله عليه وسلم– أراد ضرب المثال، لا تفسر الكلمة بما لا تدل على غيره، فلو أدخل المفسر في معنى الآية الأمر بإعداد ألوان القوة المعاصرة، وعرض لتدريب الجيوش،

[1] – محمد بن إدريس الشافعي: **الرسالة**، المصدر السابق، 128.

وتناول مسألة إعداد الأسلحة؛ لما كان بهذا مخالفاً لما صح، ومما يدخل في هذا الشرط: قول الصحابي في التفسير إن لم يكن مما للاجتهاد والرأي فيه نصيب، فإن ما كان هذا شأنه يُعد من المرفوع عند أهل الفن [1].

رابعا: ألا يخالف المفسر إجماعاً أطبقت الأمة عليه؛ لأن لازم ذلك نسبة الأمة إلى الضلال؛ وهو باطل، وما لزم منه الباطل كان باطلاً، وعلى ذلك؛ فينبغي على المفسر معرفة مواضع الإجماع في تفسير كتاب الله تعالى.

خامسا: مراعاة أصول الفقه في الفهم والاستنباط والاجتهاد لضمان انضباط الاستنباط. [2]مراعاة مقتضيات اللغة العربية، التي أنزل القرآن بها.

سادسا: عدم القطع بأن مراد الله تعالى كذا، من غير دليل قاطع، من نص أو إجماع، أما إذا كان الدليل ظنياً ظناً راجحاً، فلا بأس من الأخذ به، بل الأخذ به واجب، مع عدم القطع.

سابعا: ألا يدخل المفسر إلى النص القرآني باحثاً عما ينصر به قوله السياسي أو طريقته أو حزبه أو النظام القائم في بلده، إرادة التزلف أو التقرب إليه، أو نصرة مذهب سياسي، إذا كان كل ذلك مما يخالف الإسلام فكره أو منهجه أو سياسته، ويصدر عن غير الشريعة في نظرته إلى الحكم والسياسة والعقيدة والشريعة، بل الواجب على المفسر أن يدخل إلى القرآن بغير مقررات سابقة يخضع لها القرآن، والواجب عليه أن يستقي من القرآن ما يدل عليه[3].

ثامنا: عدم جواز حمل ألفاظ القرآن على غير معانيها زمن نزول الوحي، ووجوب الاحتراز من حملها على ما طرأ على معانيها من تطور في الاستعمال.

وفي نهاية المطاف يمكننا القول أن تلك الضوابط التي صاغها العلماء في الاتجاه التفسيري تحمي من الانحرافات التفسيرية، وتجنب المزالق التي وقع فيه الكثير من الفرق خاصة تفاسير الشيعة؛ التي توسعت في هذا المجال وبلغت فيه حد المغالاة، فالقرآن الكريم إنما أنزله الله تعالى لإصلاح الناس جميعا وهدايتهم ساسة كانوا أم قادة أم عامة، ولا يجوز حمل آية من آيات القرآن على خليفة أو حاكم أو أمير، أو على عهد من عهودهم وذلك حرصا على سلامة المنهج المستقيم في التفسير.

---

[1]- ينظر: الحافظ العراقي: **التبصرة والتذكرة**، 130/1؛ نور الدين عتر: **منهج النقد في علوم الحديث**، ص 328.

[2] - ينظر: البرهان، 428، والإتقان: 868.

[3] -ينظر: صلاح الخالدي: **مفاتيح التعامل مع القرآن الكريم**، ص 97

المحاضرة الحادية عشر: الاتجاه الموضوعي

يعدّ التفسير الموضوعي من الأساليب المعاصرة في تفسير القرآن الكريم الجيدة النافعة؛ خاصة في مجال القضايا المعاصرة، وبيان هدي القرآن الكريم، وهو تفسير حديث حيث انتشر في هذا الزمن على غيره من الأزمان، وصار له منهجه الخاص في الكتابة وألفت فيه الرسائل والكتب.

المبحث الأول– التفسير الموضوعي أهميته وأهدافه:

المطلب الأول– تعريف التفسير الموضوعي:

هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر. وهو التناول لجانب واحد من جوانب القرآن الكريم بالبحث والدراسة كدراسة المجاز في القرآن، أو المفردات، أو القسم. وفي كلّ منها مؤلفات.[1]

المطلب الثاني–أهداف التفسير الموضوعي:

يهدف التفسير الموضوعي كغيره من ألوان التفاسير الأخرى؛ إلى الكشف عن مراد الله عز وجل في كتابه وهذا هو الهدف الأسمى، ويعدّ التفسير الموضوعي وعاء للتجديد في التفسير، ومحاصرة القول بالتكرار المزعوم وإزالة التعارض المتوهم بين الآيات [2].

المطلب الثالث–أهمية التفسير الموضوعي:

للتفسير الموضوعي أهمية وضرورة بالغة في العصر الحديث؛ لما له من أثر وحاجة وفوائد أساسية؛ تتمثل في أنه يعيين على تفسير القرآن بالقرآن؛ من خلال جمع الآيات في موضوع واحد، وبيان بعضها ببعض.

– الدراسات الموضوعية تعطي مدا جديدا لانتشار تعاليم هذا القرآن، فهذا النوع يفسح المجال للدارسين في شتى التخصصات، يحاول كل منهم تجلية ما يتعلق بتخصصه من القرآن الكريم[3].

– معالجة المشكلات الواقعية من خلال القرآن الكريم.

– إبراز إعجاز القران.

---

[1] –عبد القادر محمد منصور: **موسوعة علوم القرآن**، ط (1): 1422هـ /2002م، دار القلم العربي، حلب سوريا، ص 187.

[2] – ينظر: زيد عمر العيص: **التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل** ط2، ص 90 – 91.

[3]– زاهر بن عواض الألمعي: **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ط 1 :1405، ص 16.

- الرد على أهل الأهواء والشبه.

- بيان ما تضمنه القرآن من أنواع الهدايات الربانية.

المبحث الثاني– أنواع التفسير الموضوعي وأهم مؤلفاته:

المطلب الأول– مؤلفات التفسير الموضوعي:

-أهم المؤلفات في التفسير الموضوعي، أحمد السيد الكومي.

-البداية في التفسير الموضوعي، عبد الحي الفرماوي.

-المدخل إلى التفسير الموضوعي، لعبد الستار فتح الله سعيد.

-مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم.

-دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، أحمد جمال العمري.

-دراسات في التفسير الموضوعي، زاهر عواض الالمعي.

-التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، زيد عمر العيص.

المطلب الثاني– أنواع التفسير الموضوعي:

1–التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني: أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها؛ يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها. وكثير من الكلمات القرآنية المتكررة أصبحت مصطلحات قرآنية.

فكلمات: الأمة، الصدقة، الجهاد، الكتاب، الذين في قلوبهم مرض، المنافقون، الزكاة، أهل الكتاب، الربا، نجدها تأخذ وجوهًا في الاستعمال والدلالة.

2–التفسير الموضوعي للموضوع القرآني: هو تحديد موضوع معين، ثم يلحظ الباحث تعرض القرآن الكريم له بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق. فيتتبع الموضوع من خلال سور القرآن الكريم، ويستخرج الآيات التي تناولت الموضوع، وبعد جمعها والإحاطة بتفسيرها يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال الآيات الكريمة، فينسق بين عناصره، ويقدم له بمقدمة حول أسلوب القرآن الكريم في عرض أفكار الموضوع، ويحاول

أن يقسمه إلى أبواب وفصول ومباحث، ويستدل بالآيات القرآنية على كل ما يذهب إليه ويتحدث عنه مع ربط ذلك كله بواقع الناس ومشاكلهم ومحاولة حلها وإلقاء أضواء قرآنية عليها.[1]

3- التفسير الموضوعي للسورة القرآنية: يختار الباحث في هذا النوع سورة من القرآن الكريم، وينظر فيها نظرة موضوعية متدبرة ويقف مع آياتها وقفة مطولة. ويتعرف على موضع السورة ومقاصدها وأهدافها؛ وعلى الخطوط الرئيسية التي تجمع مختلف موضوعاتها الفرعية .ويخرج بتحليل موضوعي موسع ودراسة موضوعية متكاملة تبدو معها تلك السورة وحدة موضوعية متناسقة[2].

المطلب الثالث-خطوات الكتابة في الموضوع القرآني:

-تحديد الموضوع المراد دراسته والتأكد من وجود المادة القرآنيه الكافية فيه.

-اختيار عنوان مناسب للبحث.

-دراسة تفسير هذه الآيات.

-تقسيم الموضوع إلى عناصر أو فصول ومباحث مرتبة ترتيبا منهجيا.

-بيان مكان نزول الآيات وابراز الخصائص الموضوعية لمرحلة النزول أثناء العرض الإجمالي لموضوع.

-استنباط ما تحوي عليه الآيات من لطائف وهدايات.

-ربط الآيات بالواقع.

المطلب الرابع-خطوات الكتابة في تفسير السورة القرآنية:

-التمهيد والتعريف بالسورة.

-معرفة تفسير السورة معرفة وافية.

-محاولة التعرف على الوحدة الموضوعية في السورة.

-تقسيم السورة إلى مقاطع، مع وضع عنوان مناسب لكل مقطع.

---

[1]- مصطفى مسلم: **مباحث في التفسير الموضوعي**، الطبعة 4: 1426 هـ - 2005 م، دار القلم، ص 29.

[2]- صلاح عبد الفتاح الخالدي: **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، دار النفائس، ط3: 1433/ 2012م، ص 64.

-ذكر المناسبات بين مقاطع السورة وآياتها.

-تفسير كل مقطع تفسيرا إجماليا مع ربط المقاطع ببعضها البعض.

-ذكر ما يؤخذ من كل مقطع من فوائد ولطائف وهدايات.

-ربط آيات السورة بالواقع [1].

[1]- ابراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي: **المدخل الى التفسير الموضوعي**، ط:3: 1442هـ/2020م، دار ابن الجوزي ص36/34.

المحاضرة الثانية عشر: الاتجاه الصوفي والإشاري

المطلب الأول– التفسير الصوفي:

حاول الصوفية منذ أقدم عصورهم أن يجدوا لمبادئهم وتعاليمهم مستندا من خلال النصوص القرآنية، وأن يتخذوا من القرآن عمدة في تأييد خطتهم وطريقتهم، والصوفية يرون أن النص القرآني تحتجب وراء دلالته اللفظية أفكار عميقة ومعان دقيقة، ويرون أن المعنى الحقيقي للتنزيل الإلهي لا يتناهى عند هذه البسائط البادية من ظاهره، وأن هناك معنى ظاهرا ومعنى باطنا، وأنّ الأهم هو أن يكونا معا، يقول ناصر الدين خسرو: "تفسير النص بالظاهر هو بدن العقيدة، بيد أنّ التفسير الأعمق يحل محل الروح، وأين يحيا بدن بلا روح"[1].

والصوفية يقولون بعلم الإشارة، وهو علم ما في القرآن الكريم من أسرار عن طريق العمل به، ويسمون هذا مذهب أهل الصفوة في المستنبطات الصحيحة في فهم القرآن، ولذلك يقول أبو نصر السراج الطوسي في كتابه (اللمع): المستنبطات: ما استنبط أهل الفهم من المتحققين بالموافقة لكتاب الله عز وجل، ظاهرا وباطنا، والمتابعة للرسول ﷺ ظاهرا وباطنا، والعمل بها بظواهرهم وبواطنهم، فلما عملوا ما علموا من ذلك ورّثهم الله تعالى علم ما لم يعلموه، وهو علم الإشارة، وعلم مواريث الأعمال التي يكشف الله تعالى لقلوب أصفيائه من المعاني المذخورة، واللطائف والأسرار المخزونة، وغرائب العلوم وطرائف الحكم في معاني القرآن، ومعاني أخبار رسول الله – عليه الصلاة والسلام– من حيث أحوالهم وأوقاتهم وصفاء أذكارهم.

ويستدلون على فكرهم بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿24﴾ ﴾ (محمد: 24) وإقفال القلوب ما يقع على القلوب من الصدأ، لكثرة الذنوب واتباع الهوى ومحبة الدنيا وطول الغفلة وشدة الحرص وحب الراحة وحب الثناء والمحمدة وغير ذلك من الغفلات والزلات والمخالفة والخيانات.

فإذا كشف الله تعالى ذلك عن القلوب بصدق التوبة والندم على الحوبة، فقد فتح الأقفال عن القلوب، وأتته الزوائد والفوائد من الغيوب، فيعبر عن زوائده وفوائده بترجمانه، وهو اللسان الذي ينطق بغرائب الحكم وغرائب العلم.

وقد قال الله عزّ وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿82﴾ ﴾ (النساء: 82) فدل على أن بتدبرهم في القرآن يستنبطون ، إذ لو كان القرآن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، ثم قال سبحانه ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى

[1] – خالد عبد الرحمن العك: **أصول التفسير وقواعده**، ط5: 1428هـ/2007م، دار النفائس، بيروت– لبنان، ص 210.

﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿83﴾ ﴾ (النساء: 83)، يعني: من أهل العلم، وقالوا: أولوا الأمر هاهنا: أهل العلم، فقد بيّن هاهنا خصوصية لأهل العلم وخصوصية لأهل الاستنباط من أهل العلم.

والصوفية أيضا يقولون بأن تحت كل حرف من حروف القرآن كثيرا من الفهم، وهو مذخور لأهله على قدر ما قسم لهم من ذلك، ويستدلون على ذلك بقول الله تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿12﴾ ﴾ (يس: 12) وقوله تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿21﴾ ﴾ (الحجر: 21)

وقالوا: إن (من شيء): من شيء من علم الدين وعلم الأحوال التي بين الخلق وبين الله تعالى، وغير ذلك، وإنما يصل الإنسان إلى ذلك إذا تدبر في القرآن وتفكر وتيقظ، وأحضر قلبه عند تلاوته، لأن الله تعالى يقول:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿29﴾ ﴾ (ص: 29) ، والمهم هنا هو حضور القلب ، لقوله تعالى ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿37﴾ ﴾ (ق: 37)، أي : حاضر القلب [1].

وقد ينحرف بعضهم في التأويل والاستنباط كما حكي عن بعضهم حين سئل عن قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿83﴾ ﴾ (الأنبياء: 83) فقال معناه: ما ساءني الضر

وسئل بعضهم عن قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿6﴾ ﴾ (الضحى:6) فقال: معنى اليتيم مأخوذ من الدرة اليتيمة التي لا يوجد مثلها.

كما يرى الصوفية أن الذين تنكشف لهم الخزائن المذخورة تحت كل آية، بل تحت كل حرف في القرآن الكريم، إنما هم الراسخون في العلم، وهكذا يمضي الصوفية في طريقهم يحدثوننا أنهم قد يعكفون على الآية من الآيات الليالي ذوات العدد، وهم يتدبرونها ويستنبطون منها، ويرون فيها من العجائب ما يثيرهم، ويكاد يذهب بعقولهم، وإذا كان

[1] – ينظر: خالد العك: **أصول التفسير وقواعده**، المرجع السابق، ص 212.

عطاءالله السكندري يدافع عن الصوفية فإننا نجد كثيرين يهاجمون التفسير الصوفي، فهذا السيوطي يقول في الاتقان: "وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير"[1].

ويرى النسفي أن النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد.

وفي الجزء الثاني من كتاب (**البرهان في علوم القرآن**) يقول الزركشي عن تفسير الصوفية للقرآن: فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن، فقيل: ليس تفسيرا، وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة.

ويقول الرافعي في إعجاز القرآن: أما المتصوفة ومن يتقلدون علم الباطن فلا حصر لمذاهبهم وأقوالهم في تفسير القرآن، وبخاصة المتأخرين منهم، فإن لهم في ذلك المزاعم العريضة، مما يخرج أن يكون من علم الناس، فإلى الله أمره.

وهناك من المفسرين من يجمع في تفسيره للقرآن الكريم بين طريقة الظاهر وطريقة الباطن، فإذا أورد آية ذكر تفسيرها الظاهري، ثم أتبعه بتفسيرها الباطن، وممن اتبع هذه الطريقة نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري في كتابه (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) وقد طبع على هامش تفسير الطبري، وقد ألّف النيسابوري هذا التفسير في أول القرن الثامن الهجري.

وكذلك الألوسي في تفسيره (روح المعاني) نجده يفسر الآية تفسيرا ظاهريا، ويذكر ما يتعلق بها، ثم يقول: ومن باب (الإشارات) ويورد بعض التفسيرات الصوفية أو الإشارة للآية.

المطلب الثاني– التفسير الإشاري:

يعتبر المنهج الإشاري أحد المناهج القديمة التي اعتمدتها الصوفية في تفسير القرآن الكريم وتوضيح معانيه، وهو يعتمد أساسا على أن للقرآن الكريم معنى ظاهرا وآخر باطنا، ويعدّ تفسير القرآن العظيم لسهل بن عبد الله التستري من أوائل الكتب التي ألفت في هذا النوع من التفسير، ولقد وضع العلماء عدّة شروط لقبوله واعتباره،

فما هو التفسير الإشاري؟ وما هي ضوابطه؟

أولا– تعريف التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا[2].

---

[1]– السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، ص

[2]– عبد العظيم الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج2، ص 261.

وهناك نوعان من التفسير في هذا الباب، فالتفسير الباطني ينسب لأرباب النحل الفاسدة والمذاهب الزائغة الذين تبنوا آراء شاذة في فهم الدين والملة، ثم أرادوا أن يحملوا نصوص الكتاب عليها، ولما وجدوا أن هذه النصوص لا يوافق ظاهرها ومدلولها العربي دعواهم زعموا أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وأن المقصود من القرآن الكريم هو الباطن دون الظاهر، وأن هذا الباطن لا يجري على قواعد اللسان العربي التي تعارف عليها أهل العلم والبيان، وإنما تنكشف لمن خصّه الله تعالى واصطفاه لهذا الشأن دون غيره من الناس. فهذا هو التفسير الباطني وقد تطلق عليه أسماء أخرى منها: التفسير الصوفي النظري، ومنها التفسير الرمزي، والتفسير الفلسفي وغيرها، وينتشر مثل هذا الاتجاه في التفسير عند غلاة الشيعة والصوفية والفلاسفة ومن حذا حذوهم.

وأما التفسير الإشاري فلا يرتكز في الغالب على آراء سابقة ولا مقررات ابتدائية، بل يقوم على رياضة روحية يأخذ الصوفي بها نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وهو لا يرى أن هذه المعاني التي دلت عليها آيات القرآن بالإشارة أنها المقصودة وحدها، بل يرى أن المعنى الظاهر للآية هو السابق والمقدم، ولكن الآية – إلى جانب ذلك – تحتمل هذه اللطائف والأسرار التي تنكشف لأهل الذوق، وأن هذه المعاني الخفية لا يقتصر في الكشف عنها شخص دون شخص آخر، بل هي ميسرة لكل من سلك طريق هذه الرياضة الروحية.

والحقيقة أنّ التفسير الإشاري بهذا المفهوم لا غبار عليه، ولا يقوم دليل شرعي على رده وإبطاله، ذلك أنّ علماء أصول الفقه قد أجمعوا على أنّ نصوص القرآن الكريم تحمل دلالة العبارة كما تحمل دلالة الإشارة، وهذه الإشارة قد تكون فقهية، وقد تكون عقدية، وقد تكون روحية أخلاقية، وقد تكون علمية، وقد تكون تاريخية، وكل إشارة يفهمها أهل الرسوخ والاختصاص في اختصاصهم.

وقد دلّ على شرعية التفسير الإشاري بعض الآثار الواردة عن الصحابة، ومن جاء بعدهم من السلف، فقد ورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما- أنه قد فهم من قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿1﴾﴾ (النصر: 1) حلول أجل رسول الله ﷺ، ووافقه عمر – رضي الله عنه- على ذلك، بينما قال غيرهم من الصحابة: أمرنا أن نحمد الله تعالى ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، ومنها ما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: 4).

أن الصحابة فرحوا أيما فرح بنزولها، إلا أن عمر – رضي الله عنه- حزن وبكى، وقال: ماذا بعد الكمال إلا النقص، مستشعرا أجل رسول الله ﷺ.

وواضح من هذه الأمثلة وغيرها، أن الناس يتفاوتون في إدراك هذه المعاني الخفية على قدر علمهم وما خصّ الله به مل واحد منهم من البصيرة والفهم، كما لا يعني أن كل المعاني التي فهموها بالإشارة أنها تكون صائبة وصحيحة بالضرورة، ولكن يكفي أن يكون المنهج سليما والادعاء عليه دليل وبرهان، وإلا فإن كل مفسر للقرآن يخطئ ويصيب سواء تعلق في تفسيره للقرآن بدلالة العبارة أو دلالة الإشارة.

ومن التفاسير المقبولة: كتاب (**حقائق التفسير**) لأبي عبد الرحمن السلمي المتوفي سنة 412هـ، وكتاب (**عرائس البيان في حقائق القرءان**) لأبي محمد الشيرازي المتوفي سنة 666هـ، وكتاب (**لطائف الإشارات**) للإمام القشيري. وهي كلها مطبوعة ومتداولة بين طلبة العلم، وفيها ما هو شبيه بالصواب وما هو دون ذلك.

المطلب الثاني– شروط التفسير الإشاري:

لقد ذهب كثير من العلماء إلى عدم جواز التفسير الإشاري؛ خشية التقول على الله تعالى في تفسير كلامه العزيز من غير علم ولا هدى ولا سلطان مبين.

أما العلماء الذين ذهبوا إلى جوازه، فقد وضعوا له شروطا وهي:

1- ألا يكون التفسير الإشاري يتنافى وما يظهر من معنى النظم القرآني.
2- ألا يدعى أنه هو المراد وحده دون الظاهر، أو باقي وجوه التفسير
3- ألا يكون له تعارض شرعي أو عقلي.
4- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده. [1]

فهذه هي الشروط الواجب اتباعها حين النظر في التفسير الإشاري، فإذا توفرت كان الأمر مقبولا، وإن فقدت كان مرفوضا.

والجدير بالذكر هنا أن ننوه إلى أمر هام في شأن التفسير الإشاري، وهو: أنّه لا يتحتم على أحد الأخذ بالتفسير الإشاري، شأن التفسير العقلي الذي يقوم على تلك القواعد المتينة، والضوابط الدقيقة، وإنما هي معاني الأسرار القرآنية تنقدح في قلب المؤمن التقي الصالح العالم، فهو إما أن يبقيها بينه وبين ربّه تبارك وتعالى، وإما أن يعلم بها من غير أن يلزم بها أحدا، كما أن الأحكام الشرعية لا تؤخذ عن طريق التفسير الإشاري، لعدم قيام الدليل الواضح عليها، وما يستفاد منها فهو في مجال الأخلاق وسمو النفس وتقوية الإيمان وتثبيت اليقين.

[1] – خالد العك: **أصول التفسير وقواعده**، ص 208.

المحاضرة الثالثة عشر: أثر تعدد الاتجاهات في العصر الحديث على درس التفسير

أحدث تعدد الاتجاهات والمناهج في العصر الحديث تأثيرا عميقا وجوهريا على درس التفسير، حيث انتقل من النمط التقليدي المعتمد على اللغة والمأثور إلى أنماط أخرى أكثر تفاعلا مع الواقع ومشكلاته، وهي إما تفاسير كاملة للقرآن كله، أو بعض سوره أو أجزائه، وهناك تفاسير من نوع آخر، وهي التي تتناول بعض آيات القرآن من ناحية علمية أو لغوية أو بلاغية، ويمكن تلخيص أثر هذا التعدد في النقاط التالية:

1-**مواكبة التفسير للحياة المعاصرة**: فقد تحرر التفسير المعاصر من الجمود وانتقل من مجرد شرح المفردات إلى معالجة قضايا العصر (السياسية- الاجتماعية- الاقتصادية)، وبرزت اتجاهات مثل: (التفسير الاجتماعي) الذي يربط الآيات بواقع المجتمع، كما في تفسير المنار، وتفسير المراغي.

2- **التحول نحو التفسير الموضوعي**: فقد تراجع نوعا ما (التفسير التحليلي) لصالح لتفسير الموضوعي الذي يدرس القرآن الكريم من خلال محاور أو موضوعات معينة، وطغى هذا التفسير في الدراسات الجامعية البحثية.

3- **انتشار التفسير العلمي في التفسير**: فقد تأثر المفسرون بالنهضة العلمية، فبرز هذا الاتجاه ليحاول التوفيق بين الحقائق العلمية الكونية والنصوص القرآنية، واستخراج إشارات علمية من القرآن الكريم.

4- **التأثر بالاتجاهات الأدبية والبلاغية**: فقد برزت محاولات لتذوق القرآن أدبيا وإبراز إعجازه البياني، مما أثرى الجانب الجمالي في التفسير، ويعدّ تفسير **(في ظلال القرآن)** لسيد قطب مثالا بارزا للدمج بين الاتجاهين الأدبي والاجتماعي، وبرز (التفسير البياني) لعائشة عبد الرحمن.

5- محاولات التجديد والتوفيق بين المدرسة العقلية التي تحاول تقديم تفسير يناسب العقلية الحديثة، وترد على الشبهات مع محاولة التوفيق بين التفسير النقلي ومقتضيات العصر.

6- **ظهور الاتجاهات المنحرفة**: بسبب الانفتاح الفكري والحضاري العالمي، ظهرت اتجاهات تفسيرية انحرفت عن القواعد العلمية للتفسير، مثل الاتجاه الحداثي والعلماني وهذا ما يمثل خطرا على درس التفسير.

7- **تداخل المناهج (التفسير التكاملي)**: وهو اختيار المفسر في العصر الحديث، حيث لا يلتزم باتجاه واحد، بل يدمج بين عدة اتجاهات، مما جعل التفاسير المعاصرة أكثر شمولا.

وخلاصة الحديث فإن أثر تعدد الاتجاهات جعل التفسير أكثر حيوية وتفاعلا، ولكنه في الوقت نفسه ألقى بعبء ضرورة التمييز بين التفسير الرشيد الصحيح وبين التفسيرات المتأثرة بالأهواء أو المناهج الغريبة عن الإسلام.

المحاضرة الرابعة عشر: أهم اتجاهات التفسير في العصر الحديث في الجزائر

المطلب الأول: التفسير والمفسرون في الجزائر في جانب التدريس

شهدت القرون الأربعة من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر الهجري عناية بعلم التفسير، إذ كان هذا العلم يدرس للطلبة، وتخصص له مجالس في المساجد والمدارس، ومن هؤلاء المفسرين الذين برزوا للتعليم:

1. **أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش، أبو العباس المقري التلمساني**، مؤرخ وأديب، حافظ، كان آية في علم الكلام والتفسير والحديث، ولد بتلمسان ونشأ بها، وعلم ودرس، مات سنة 1041هـ[1] .
2. **أبو زكريا يحيى بن الفقيه محمد النايلي الشاوي المليانى:** وهو أستاذ قدوة، وفقيه صالح، كان آية الله الباهرة في التفسير والمعجزة الظاهرة في التقرير والتحرير، كان يجلس ليفسر فيسأل فيفتح الله عليه، وقد صرف أوقاته في الإفادة والتأليف. مات سنة: 1096هـ، من شيوخه: محمد بن محمد البهلول، والشيخ سعيد قدورة، ومن تلاميذه: علي النوري الصفاقسي[2].
3. **محمد بن أبي القاسم بن رجيح بن محمد بن محمد بن عبد الرحيم، أبو عبد الله شهر بالهاملي:** مشارك في التفسير. مات سنة 1315هـ[3].
4. **محمد بن مصطفى بن محمد بن باكير بن خوجة:** وهو عالم شاعر كاتب، تعلم على ابن الخفاف، عين مدرسا بمسجد جامع سفير سنة 1895م حيث أقرأ التفسير والفقه والتوحيد، ونشر الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي بعد مقابلته على سبع نسخ مخطوطة. مات سنة: 1333هـ/1915م[4].
5. **عبد الحميد بن باديس:** وقد تطرقنا لتفسيره في الاتجاه الإصلاحي.
6. **محمد البشير الإبراهيمي:** وهو إمام عالم فقيه مفسر نحوي أديب مصلح مربي، من أولاد إبراهيم بن يحيى بن مساهل، أخذ العلم من عمه، محمد المكي الإبراهيمي وغيره، أسس مع عبد الحميد بن باديس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان نائبا لها بعد موت الإمام ابن باديس مات سنة: 1385هـ/ 1965م. درس التفسير بدار الحديث بتلمسان.

---

[1]- عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت لبنان، ط2 سنة: 1400هـ/1980م، ص 310.

[2]- محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ص 316-317.

[3]- **معجم أعلام الجزائر**، ص 335.

[4]- **معجم أعلام الجزائر**، ص 138.

المطلب الثاني– التفسير والمفسرون في الجزائر في جانب التأليف:

لم يقتصر جهد العلماء في الجزائر على التدريس فقط، بل انبرى جملة من الفطاحلة على تأليف كتب في التفسير، وفي هذا المطلب رصد لمصنفات علماء الجزائر في القرن الرابع عشر الهجري، وقد شهد هذا القرن حركة علمية دؤوب، ومن هذه التفاسير:

- **الثريا لمن كان بعجائب القرآن حفيا:** لمحمد بن عيسى الجزائري، توفي سنة 1310هـ/1892م، والكتاب مطبوع في تونس سنة: 1307هـ/1889م [1].
- **الماس في احتباك يعجز الجنة والناس:** للمؤلف السابق، وهو تفسير لقوله تعالى (**ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم**) النور:33، طبع في تونس سنة: 1306هـ/1888م [2].
- **همیان الزاد ليوم المعاد:** كتاب في التفسير لمحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش، من أكابر علماء الإباضية، عالما بالفقه والأدب واللغة والتفسير، توفي سنة: 1332هـ/1914م [3].
- **التيسير في التفسير:** له أيضا، وهو في سبعة أجزاء، طبع بالجزائر طبعة قديمة سنة: 1326هـ، وطبع بمطبعة البابي الحلبي بمصر من سنة: 1982م، إلى سنة: 1987م، في 14 جزء وهو آخر تفاسيره [4].
- **داعي العمل ليوم الأمل:** له أيضا، في أربعة أجزاء فسر فيه القرآن من سورة الرحمن إلى سورة الناس في مجلد كبير.
- **تنظيف الوعا من سوء فهم آية ليس للإنسان إلا ما سعى:** للإمام محمد المكي مصطفى بن محمد بن عزوز البرجي، عالم كبير، وإمام فقيه، متبحر في العلوم، قرأ على علماء الجريد (الجنوب التونسي) كعمه المدني بن عزوز والنوري بن بلقاسم النفطي وغيرهما.درس بالزيتونة وانتفع به خلق كثير منهم: ابن اخته محمد الخضر حسين، مات سنة 1334هـ.
- **تهذيب التفاسير القرآنية:** لابن عزوز أيضا.
- **مروى الظمآن في قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء)** لابن عزوز أيضا.

---

[1] – ينظر: محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، ط1: 1405هـ/1985م، بيروت – لبنان، 26/2.

[2] – المرجع نفسه، 26/2

[3] – ينظر : معجم المؤلفين: 786/3، خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ط: 2002م، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان 157-156/7 .

[4] – معجم المؤلفين : 786/3، معجم أعلام الإباضية، 401/2.

- **مزيل الإشكال في آية**: ولو أسمعهم في سورة الأنفال: لابن عزوز .
- **تفسير القرآن**: في أربع مجلدات، لطاهر الجزائري، عالم بحاثة، هو ممن ساعد على إنشاء دار الكتب الظاهرية، توفي سنة: 1338هـ/1920م، وتفسيره حاشية على تفسير البيضاوي، ولا يزال الكتاب مخطوطا في مكتبة الأسد.
- **القول الوجيز في كلام الله العزيز**: لم يكمله وهو لصالح بن عمر بن داود بن صالح بن يحمد الأعلى، من بني يزقن، مفسر من علماء الإباضية، أنشأ معهدا للعلوم الشرعية في مسقط رأسه سنة 1889، وكان يدرس فيه وحده، توفي سنة 1347هـ/1928م، والكتاب مخطوط [1].
- **تفسير سورة العصر**: لأحمد بن مصطفى بن محمد بن أحمد المستغانمي أبو العباس الشهير بالعلوي، توفي سنة: 1352هـ/1933م.
- **لباب العلم في سورة النجم**: له أيضا.

المطلب الثالث– ملامح التفسير في الجزائر في القرن الرابع عشر ميلادي:

من خلال ما تم عرضه من مصنفات التفسير، يمكن أن نلاحظ بروز اتجاهين من اتجاهات التفسير وهما:

التفسير الواقعي الاجتماعي: كتفسير العلامة بن باديس، والبشير الابراهيمي، وذلك لغلبة الجهل وانتشار العادات السيئة بفعل المستعمر الفرنسي.

التفسير العقدي: وقد يلمح هذا في تفسير محمد بن يوسف بن صالح أطفيش: **داعي الأمل ليوم العمل، وهميان الزاد إلى دار المعاد**، وقد كان من أكابر علماء الإباضية، فعادتهم التنويه على بعض المسائل العقدية عند ذكرهم لجملة من الآيات مثل رؤية الله تعالى في الآخرة، والكلام على المعاصي والذنوب هل يعدّ من لم يتب منها مسلما أو لا؟

[1] – **معجم أعلام الجزائر**: ص 194. **ومعجم أعلام الإباضية**: 2/229-230.

المطلب الرابع: أساليب التفسير في الجزائر:

كان أداء التفسير في هذه المرحلة يتم بطريقتين اثنتين هما: الكتابة والمشافهة وبيانها كالآتي:

أولا– التفاسير المكتوبة: وقد تعددت الكتابة كذلك: فمنها ما يكون كتابا كأغلب ما ذكر من التفاسير، ومنها ما يكون على شكل مقالات كمجالس التذكير للإمام عبد الحميد بن باديس، وهي فواتح لأعداد مجلة الشهاب.

ثانيا– التفاسير الشفهية: ومن أساليب أداء التفسير المشافهة، ومن أمثلة ذلك: تفسير الإمام يحي بن الفقيه محمد النايلي الشاوي المليانى، فقد كان يجلس ليفسر، فيسأل فيفتح الله عليه.

وكذا تفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس حيث ختم القرآن الكريم كله درسا في خمس وعشرين سنة.

ثالثا– التفاسير الكاملة والجزئية: من التفاسير ما أكملها أصحابها، ومنها من وافتهم المنية قبل إكمالها، ومنها ما كان الهدف منها تفسير القرآن كله، ومنها ما اقتصر أصحابها على تفسير سورة من السور أو آية من الآيات، وبيان ذلك كما يأتي:

1–التفاسير الكاملة: منها: هميان الزاد ليوم المعاد: للشيخ محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش، وله: **التيسير في التفسير**.

2–التفاسير الجزئية: منها (**خواص سورة يس**) لأبي الحسن بن عمر بن علي القلعي، وكذلك (**تفسير سورة العصر**). لأحمد بن مصطفى بن محمد بن أحمد المستغانمي، وتفسير محمد الخضر الحسين الطولقي، وقد طبع من تفسيره سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، ونشرت ضمن موسوعة الأعمال الكاملة له.

في نهاية المطاف وبعد هذه الجولة السريعة مع كتب التفاسير الجزائرية، نلحظ إسهامات العلمية الكبيرة التي قام بها علماء التفسير في الجزائر في تدريس الشريعة وعلم التفسير على وجه الخصوص، بعد أن تركوا مكلبة علمية زاخرة، منها ما وصل إلينا ومنها ما هو مخطوط ومنها ما هو مفقود، وهذا يعبّر عن المكانة المرموقة التي تبوأتها مدرسة التفسير الجزائرية.

الخاتمة

في آخر المطاف أرجو أن أكون قد قدمت – من خلال هذه المحاضرات- لمحة موجزة عن أهم اتجاهات التفسير في العصر الحديث، لتكون مفتاحا لطلبتنا الأكارم في هذه المرحلة عند التعامل مع كتب التفسير القديمة والحديثة على حد سواء، ولا أدعي في ذلك إحاطة ولا شمولا، فالاتجاهات متعددة وقد ألف في هذا المجال المجلدات الضخمة.

ثم إنّ موضوع المحاضرات مرتبط بقرار وزاري محدود زمنيا بحجم ساعي لا يمكن تجاوزه؛ فلا يمكن اشتماله على كل الاتجاهات التي ظهرت في العصر الحديث، إنّما جمع أبرزها وأهم ما ينتفع به الطالب في هذه المرحلة.

وأوصي في الأخير طلبتنا الأكارم بالرجوع إلى المصادر والمراجع الخاصة بهذا الموضوع للاطلاع على جل ما كتب بهذا الصدد، فمادته حيوية متطورة متجددة في كل زمن لأنها تتعلق بذاك المعين الذي لا ينضب.

وإن تجد عيبا فسدّ الخللا جلّ من لا يخطئ وعلا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على النبي المختار وأصحابه الأخيار وآل بيته الأطهار.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1-ابراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي: **المدخل الى التفسير الموضوعي**، ط:3: 1442هـ/2020م، دار ابن الجوزي.

2-أحمد بن فارس: **مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، ط: 1399هـ/1979م، دار الفكر (د م ط).

3- ابن باديس: **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، ط1: 1430هـ/2009م، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم.

4-أبو البقاء الكفوي: **الكليات**، أعدّه للنشر: عدنان درويش، محمد المصري، ط2: 1419هـ/ 1998م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

5-جلال الدين السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، ط: 1436هـ/2015م، دار ابن حزم، بيروت – لبنان.

6-أبو حامد الغزالي: **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة – بيروت- لبنان.

7-حسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ط (2): (1389 - 1392 هـ) (1969 – 1972، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

8-حسين زروق: **جهود الأمة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم**، ط1: 1434هـ/2013م، دار السلام، الإسكندرية- مصر، ص 213 (مكتبة الإعجاز البياني للقرآن الكريم).

9-خالد السعيداني: **نماذج من مساهمة علماء المسلمين في المنهج الاسترادي**، مقال الكتروني، تحميل يوم: 2017/10/18، على الساعة- 19:09.

10-خالد العزاوي: **المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث**، دار العصماء، 1433هـ/2012م، دمشق- سوريا.

11-خالد عبد الرحمن العك: **أصول التفسير وقواعده**، ط5: 1428هـ/2007م، دار النفائس، بيروت- لبنان.

12-خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ط: 2002م، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان.

13- رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تح: توفيق النيفر، مختار العبيدي، جمال حمادة، ط 1: 2009م، بيت الحكمة، قسنطينة- الجزائر.

14-رضوان جمال الأطرش ونشوان عبده خالد قائد: **الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم**، مجلة الاسلام في آسيا العدد 1 مارس 2011.

15-الزمخشري: **الكشاف**: تح: علي محمد معوض، ط1: 1418ه/ 1998م، مكتبة العبيكان، الرياض- السعودية.

16-زهير هاشم: **التفسير المقاصدي عند ابن العربي في تفسيره أحكام القرآن**، اشراف شحادة العمري 1432/ 2011م.

17-صلاح عبد الفتاح الخالدي: **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، دار النفائس، ط3: 1433/ 2012م.

18-طاهر بن عاشور: **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

19-الطبري: **جامع البيان في تأويل آيات الأحكام**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1: 1422ه/ 2001م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

20-عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت لبنان، ط2 سنة: 1400ه/1980م.

21-عبد العزيز صالح بن ابراهيم الطويان: **جهود الشيخ محمد الامين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف**، مكتبة العبيكة 1998.

22-عبد العظم الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط1: 1415ه/1995م، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

23-عبد العظيم الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الكتاب العربي،1415ه/ 1995م.

24-عبد الفتاح الخالدي: **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، المرجع السابق.

25-عبد القادر محمد منصور: **موسوعة علوم القرآن**، ط (1): 1422 ه - 2002 م، دار القلم العربى - حلب سوريا.

26-علي إدريس، **مدخل إلى مناهج البحث العلمي لكتابة الرسائل الجامعية**، (د ت ط)، الدار العربية للكتاب؛ دار القلم، تونس- 1985م.

27-فضل حسن عباس: **التفسير أساسياته واتجاهاته**، ط1: 1426هـ/2005م، مكتبة دنديس، عمان- الأردن.

28-فضل حسن عبَّاس، **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**، ط (1): 1437 هـ - 2016 م، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن.

29- فهد الرومي: **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، ط4: 1419هـ، مكتبة التوبة، الرياض - السعودية.

30-محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)الطبعة: الخامسة، 1441 هـ - 2019 م.

31-محمد بلتاجي: **دراسات في التفسير**، مكتبة الشباب، سنة 1989م.

32-محمد بن جرير الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1: 1422هـ/ 2001م، القاهرة - مصر.

33-محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة- مصر، ط (1): 1997 - 1998 م.

34-محمد علي الرضائي: **مناهج التفسير واتجاهاته - دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن الكريم**- ترجمة: قاسم البيضاني، ط1: 2008م، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

35-محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، ط1: 1405هـ/1985م، بيروت - لبنان.

36-محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

37-محمد هادي معرفة، **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، مؤسسة الروضوية للنشر والتوزيع ط (1)، (1418)، ج (1)، ص 18.

38-محمود النقراشي السيد علي: **مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث**، ط1: 1407هـ/1986م، مكتبة النهضة- القصيم - مصر.

39-مصطفى مسلم: **مباحث في التفسير الموضوعي**، الطبعة 4: 1426 هـ - 2005 م، دار القلم.

40-مناع القطان: **الوجيز في أصول التفسير**، المطلعة السلفية ومكتبتها، ط: 1379هـ، الرياض- السعودية

41-ابن منظور: **لسان العرب**، دار الأبحاث، ط 1: 2008، بيروت- لبنان.

42-نجيبة عابد ونائل البركات: **معالم التفسير المقاصدي عند الإمام ابن عطية الأندلسي من خلال تفسيره المحرر الوجيز**، مجلة الشهاب مجلد 8، عدد 3: 2022 م.

43-نشأة الاتجاهات التفسيرية ومراحل تطورها، مركز نون للترجمة والتأليف، عدد 2 ت ن (2024/09/14) ص (163/162).

44-وصفي عاشور ابو زيد: **التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم -في ظلال القرآن أنموذجا** -كلية دار العلوم- جامعة القاهرة 2013.

45-وصفي عاشور ابو زيد: **نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم- رؤية تأسيسية لمنهج جديد في تفسير القرآن**، دار مفكرون الدولية للنشر والتوزيع ط 1: 1440/ 2019.

46-يوسف محمد رضا: **معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة** (معجم ألفبائي موسع في اللغة العربية) ط1: 2006، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان.